نزل يغسل ما بهم من هموم وإحباط، فثبتوا مع رسول الله ﷺ كالجبال، بل لقد صار ذلك الموقف مبعث فخر لهم إلى يوم القيامة. لقد فرحوا بما نزل من آيات تصف حالهم، وتثني عليهم.

هذا أحد أبنائهم يفرح بنزول كلام الله على نبيه فيهم فيقول: (فينا نزلت: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾.

قال: نحن الطائفتان: بنو حارثة وبنو سلمة، وما نحب -وما يسرّني- أنها لم تنزل لقول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾)[1].

إذاً فهم أولياء الله، وهم بشر يتعرّضون لما يتعرض له البشر، لكن القرآن زاحم ذلك الفشل حتى نفاه، وذكرهم بنصر لم يتوقعوه، فدبّ الحماس في عروقهم وأرواحهم. يقول سبحانه: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[2].

صفت النفوس من الضعف، وتخلّص الجيش من معظم الخونة، وتوجّه الجميع إلى منطقة:

بين عينين وأُحد

وعينين جبل، وأُحد جبل آخر وبينهما واد[3] حيث وصل الجيش المؤمن، فتوقف النبي ﷺ، وتوقف أصحابه، وعندما لامست أقدامهم تلك الأرض.. تأمّلها ﷺ جيداً، وتأمل أصحابه فوجدهم قلّة، فأدار المعركة في مخيلته قبل أن تدور على الأرض، فرأى جبل أُحد، (طلع له أُحد فقال: هذا جبل يحبّنا ونحبه)[4].

تأمل ﷺ أُحداً فوجده حبيباً للمؤمنين يتمنى خدمتهم في مثل هذه الظروف القاسية، فوظفه ﷺ توظيفاً يرجح به كفة جيش صغير، على جيش كبير كجيش

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٤٥٥٨).
(٢) سورة البقرة: الآيتان ١٢١ - ١٢٣.
(٣) هذا ما جاء في البخاري في حديث طويل (٤٠٧٢).
(٤) حديث صحيح رواه الإمام البخاري (٤٠٨٤).

قريش. لقد قرر ﷺ أن يستخدم هذا الجبل كدرع خلفي للجيش، ليس هذا فحسب، بل جعل من هذا الجبل قاعدة جوية تنتشر من أعلاه مظلّة تساند الجيش أثناء المعركة، وتحميه من أي التفاف قد يقوم به المشركون من خلف الجبل.. لا سيما وأنّهم قد سبقوا المسلمين إلى موقع المعركة، وهذا ما أوجب دقّة التخطيط، وضرورة الدقّة في التنفيذ، وأهمية الانضباط في العمل.

أخرج ﷺ من الجيش مجموعة من الرماة، وحدّد لهم موقعاً على الجبل، وأمرهم بالبقاء فيه مهما كانت الظروف.. مهما كانت النتيجة.. و(جعل النبي ﷺ على الرماة يوم أُحد عبد الله بن جبير)[1] قائداً لا يجوز لهم أن يعصوه.

لقد كان ﷺ يدرك خطورة الموقف وشدّته.. كان واضحاً وصارماً في تعاليمه للرماة، لقد (أقامهم في موضع ثم قال: احموا ظهورنا، فإن رأيتمونا نُقتل فلا تنصرونا، وإن رأيتمونا غنمنا فلا تشركونا)[2]. لا مكان للتوقعات والظنون، ولا للحماس الزائد، ولا للاجتهادات الفردية.. البقاء على الجبل حتى تصدر الأوامر بعكس ذلك.. كان ﷺ يريد عزلهم عن كل هذه الأمور، كي يتفرغوا ويركزوا ويكرّسوا كل طاقاتهم واهتمامهم لوظيفتهم التي حدّدها ﷺ، وهي واضحة جداً.. جداً. وهل هناك أشدّ صرامة من قوله ﷺ للرماة (إن رأيتمونا تخطفنا الطير، فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم، فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم)[3].

سمع الرماة وأطاعوا، وصعدوا خلف قائدهم عبد الله بن جبير، وأخذ كل منهم موقعه على الجبل، أمّا على الأرض، فقد كان هذا النبي والقائد العبقري ﷺ ينظم صفوفه. سندعه يكمل تنظيم جيشه بينما نلقي نظرة على ذلك الجيش الوثني المحتقن

---

(١) حديث صحيح رواه الإمام البخاري (٣٩٨٦).

(٢) ظاهر إسناده الضعف لكنه صحيح رواه أحمد ١-٨٧ و٢-٢٨١٨ حدثنا سليمان ابن داود، أخبرنا عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، عن عبيد الله عن ابن عباس. عبيد الله تابعي ثقة ثبت وأبو الزناد تابعي ثقة مر معنا أيضاً، وابنه عبد الرحمن ثقة تغير حفظه عندما قدم بغداد. وسليمان بن داود سكن بغداد وهو ثقة فقيه جليل، لكن الناقد علي بن المديني رحمه الله له رأي في رواية سليمان عن عبد الرحمن يقول: (ما روى سليمان الهاشمي عنه فهي حسان، نظرت فيها فإذا هي مقاربة وجعل علي يستحسنها، سمع ذلك من علي يعقوب ابن شيبة وذكره الإمام الترمذي في علله (٢-٦٠٦).

(٣) حديث صحيح رواه البخاري (٣٠٣٩).

بالثـأر وبهزيمـة بدر.. إنـه يقبع قرب جبل «عينـين» وهذا ما جعلهم يسـمونه «عام عينين»[1]، بينما كان المسلمون يسمّونه «عام أُحُد».

كان جيش قريش يفتقد إلى أشياء كثيرة.. أهمّها الهدف الموحد والبعيد للمعركة.. كانت المعركة بالنسبة لهم ذات أهداف شخصية بالدرجة الأولى، فعكرمة بن أبي جهل خرج للثأر لأبيه، وأبي بن خلف جاء ليقتل رسـول اللـه ﷺ ثأراً لمصرع أخيه أمية بن خلف، وجبير بن مطعم لا أدري هل كان ضمن الجيش أم لا، لكنه يحلم بالثأر لعمّه من حمـزة. وبما أنه لا أحـد يقدر على مواجهة حمزة، فقد فضّل أن يقدم إغراءً لمن يقوم بهذه المهمة، فعرض على عبده «وحشي» القيام بذلك مقابل حريّته، ووحشي لن يواجه حمزة، ولا يسـتطيع، لكنه يجيد الرماية بالحربة، وهو أمر ممكن لأن حمزة سـيكون بعيداً عندها، ولا تحتاج هذه المهمة سوى إلى الانتظار والترقّب.

قدم المطعم عرضه، فقبل وحشـي القيام بهذه المهمـة من أجل الحرية، والحرية فقط، فوحشـي ليس بينه وبين المسـلمين أي عداء.. عدوّه الوحيـد هو الرق، أمّا أبو سفيان فربما أخرجته للمعركة زعامته الجديدة لقريش، بعد هلاك الطواغيت السبعة ومصرعهم على سـاحة بدر، وربما حرضته على ذلك زوجته (هند) التي كانت تتحرق للثأر، بعد هـلاك أبيها وعمّها وأخيها، على يد حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث رضي الله عنهم. ومن الأشياء التي يفتقدها الجيش الوثني: حب الموت، والاحتفاء بالشهادة، فهم يحرصون على الحياة كحرص المؤمنين على الشـهادة، وهذا الشيء هو سرّ تحطّم أعتى الجيوش على أيدي المؤمنين.

ومن الأشـياء التي يفتقدها جيش قريش: النظام، فمن الصعب جداً أن تسـيطر علـى جيش يبحث كل فـرد فيه عن فرد ضمن جيش آخر. هناك تشـتّت في الاتجاه والهدف، وهذا ما حرص ﷺ على إبعاده عندما قال للرماة:

(إن رأيتمونـا تخطفنـا الطير، فـلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسـل إليكم، وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم، فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم)[2].

واقتربت المعركة بين جيشين: جيش قوي، وجيش ذكي، فكانت:

---

(١) دليلي على ذلك تسـمية وحشـي لغزوة بـ«عام عينين» كما جاء ذلك عند البخاري (٤٠٧٢) وكان وحشـي ضمن جيش المشركين.

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٣٠٣٩).

البداية دعاء

بـدأ ﷺ كعادتـه بالدعاء.. لقد (قال يـوم أُحد: اللّهمّ إنك إن تشـأ لا تعبد في الأرض)[1]، فمن أجل عبادة الله وحده لا شريك خرج ﷺ وأصحابه.. لا يريدون مالاً، ولا جاهاً.. خرجوا من ديارهم ينشرون دين الله، وخرجوا للقتال دفاعاً عن نشره، ومن أجل الأصنام خرج أولئك الوثنيون.

كان لهذا الدعاء بشائر بالإجابة و:

بشائر النصر

ها هو سـعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يشـخص ببصره إلى رسول الله ﷺ، ليرى منظراً أبيض لا يدري من هو، ولا ما هو؟ فيقول: (رأيت بشمال النبي ﷺ ويمينه رجلين عليهما ثياب بيض يوم أُحد، وما رأيتهما قبل ولا بعد)[2].

لا شـكّ أنها الملائكة. لكن هل ستشـارك كما شـاركت في غزوة بدر؟ سـنعرف الإجابة بعد قليل، فهل بقي من بشائر بالنصر على أرض أُحد؟

أجل.. كان ذلك بعدما صف النبي ﷺ المؤمنين صفاً خلف صف.. عندها غشيت البشارة بعض الصحابة، وكان صحابي يسمى (أبو طلق) أحدهم.. حيث يقول: (غشينا النعـاس ونحن في مصافنا يوم أُحد)[3] و(كنت فيمن تَغَشَّـاه النعـاس يوم أُحد، حتى سقط سيفي من يدي مراراً، يسقط وآخذه، ويسقط فآخذه)[4].

رفع طلحة بن عبيد الله رأسـه فرأى منظراً غريباً يترنح تحت الدروع والتروس، فقال رضي الله عنه: (رفعت رأسـي يوم أُحـد، وجعلت أنظر وما منهم يومئذ أحد إلا يميد تحت حجفته[5] من النعاس)[6]، وكان بين صفوف المؤمنين بعض المنافقين الذين لم

---

(١) حديث صحيح رواه مسلم (١٧٤٣)

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٥٨٢٦).

(٣) حديث صحيح رواه البخاري (٤٥٦٢).

(٤) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٦٨).

(٥) أي تحت ترسه.

(٦) سنده صحيح رواه الترمذي (٣٠٠٧) والحاكم (٣٢٥/٢) والنسائي في الكبرى (٣٤٩/٦) وأبو يعلى (١٤/٣) من طرق عن الثقة المعروف حماد بن سـلمة عن التابعي الثقة ثابت البناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه.. وثابت سمع من أنس.

يجرؤوا على الفرار.. إنهم الآن يرتجفون، وهم يرون هذا الجيش القليل العدد والعدّة، ويزيد من ارتجافهم وغيظهم هذا النعاس الذي يحرق الأعصاب.. كأني بالمنافقين ولسان حالهم يقول: انهضوا أيها... من نومكم.. أما ترون الموت يملأ المكان؟

لقد كان النعاس أمناً للمؤمنين، وخوفاً ورعباً للمنافقين، وفي ذروة الخوف والأمن، وخلال ذلك الصمت المخيم يشقّ الساحة صوت ينطلق من معسكر الأصنام بالتحدي.. فارس جاهلي شجاع اسمه (سباع بن عبد العزى) يصرخ ويقول:

هل من مبارز

من سيبارز هذا الشجاع؟ دعونا نطرح هذا السؤال على رجل يهمّه جداً ما حدث، وشاهد -جيداً- ما حدث.. إنه وحشي الذي جاء من أجل مهمة واحدة هي طعن حمزة فقط.

يقول وحشي: (خرجت مع الناس إلى القتال، فلما اصطفوا للقتال خرج سباع فقال: هل من مبارز؟ فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب فقال: يا سباع، يا ابن أم أنمار مقطعة البظور، أتحادّ الله ورسوله ﷺ؟ ثم شدّ عليه فكان كأمس الذاهب)[1].. لفظ غاية في تصوير الحدث وسهولة حدوثه (كأمس الذاهب) يعبّر عن سهولة هلاك الشجعان على يد حمزة.. سقط ذلك الفارس، وارتفع سيف حمزة يطلب المزيد، وارتفعت معنويات المؤمنين، وزاد حماسهم كما زاد حماسهم بعد مبارزة بدر، فأراد رسول الله ﷺ أن يؤجج ذلك الحماس ويوظفه فصرخ بجموع المؤمنين رافعاً سيفاً: (من يأخذ مني هذا السيف بحقه؟

فبسطوا أيديهم، كل إنسان فيهم يقول: أنا.. أنا...

فقال ﷺ: من يأخذه بحقه؟ فأحجم القوم، فقال له سماك «أبو دجانة»: أنا آخذه بحقه. فأخذه ففلق به هام المشركين)[2] الذين أذهلتهم هذه المعنويات. لقد أفنى حمزة مبادرتهم، ومزّق أبو دجانة من أمامه منهم، والتحم الجيشان، فبان الفرق بين جيش همجي غاشم، وبين جيش متحضر له هدف وتخطيط وأسلوب رفيع في التنفيذ.. جاء

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٧٢).

(٢) حديث صحيح رواه مسلم فضائل الصحابة (٢٤٧٠) وابن أبي شيبة بسند صحيح.

أحد الصحابة يبحث عن سبق، بعد أن تفوّق حمزة وأبو دجانة فقال لرسول الله ﷺ: (أرأيت إن قتلت فأين أنا؟ قال: في الجنّة، فألقى تمرات في يده ثم قاتل)[1].

وبدأ الرماة بنشر مظلتهم الجوية، ففوجئ المشركون بجيش يحصدهم على الأرض، ويمطرهم من السماء، فالرماة يؤدّون مهمّتهم بإتقان، وسهامهم زخات من الموت.. زخات من القبور.. فرّقت جموع الوثنيين، فصاروا يهربون في كل اتّجاه، ولم تكن السهام تنطلق من قمة أحدٍ فقط. كان بقرب رسول الله ﷺ أمهر راميَيْن (سعد بن أبي وقاص) كان الأمهر. شاهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ما يحدث بين رسول الله ﷺ وبين سعد، وسمعه ورواه فقال: (ما سمعت النبي ﷺ جمع أبويه لأحد إلاّ لسعد بن مالك، فإني سمعته يقول يوم أُحد: «يا سعد ارم فداك أبي وأمي»)[2].

ويقول سعد: (جمع لي رسول الله ﷺ يوم أُحد أبويه كلاهما)[3]، لقد (نثل لي النبي ﷺ كنانته يوم أُحد، فقال: ارم فداك أبي وأمي)[4].

كان سعد يمتع ناظري رسول الله ﷺ، بل ويضحكه فيقول رضي الله عنه: (كان رجل من المشركين قد أحرق المسلمين، فقال له النبي ﷺ: ارم فداك أبي وأمي.

فنزعت له بسهم ليس فيه نصل، فأصبت جنبه، فسقط فانكشفت عورته، فضحك رسول الله ﷺ حتى نظرت إلى نواجذه)[5].

ولم يكتف سعد بالرماية بين يدي رسول الله ﷺ.. لقد كان فارساً يفتك بمن أمامه، لقد استجاب الله له فلقي كما تمنى: (رجلاً شديداً حرده أقاتله ويقاتلني، ثم ارزقني الظفر عليه حتى أقتله وآخذ سلبه)[6] لكن ماذا عن رفيقه عبد الله بن جحش؟

هل استجاب الله لدعائه؟ ليس بعد، فهو مازال يجالد بسيفه، ويجتثّ من يواجه من المشركين..

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٤٦).
(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٥٩).
(٣) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٥٧).
(٤) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٥٥).
(٥) حديث صحيح مر معنا قبل قليل.
(٦) حديث صحيح رواه البخاري (٣٨١١).

obeikandl.com

لم ننس راميَ النبي ﷺ الآخر.. إنه أبو طلحة (كان رامياً شديد النزع، كسر يومئذٍ قوسين أو ثلاثة، وكان الرجل يمرّ معه الجعبة من النبل، فيقول رسول الله ﷺ: انثرها لأبي طلحة.

ثم يشرف إلى القوم، فيقول أبو طلحة: يا نبي الله بأبي أنت وأمي، لا تشرف، ألا يصيبك سهم، نحري دون نحرك)[1].

ماهت الأرواح بالأرواح في جلاد يزهق الأرواح.. نبي قائد يفدي جنوده بأمّه وأبيه، وجنود يفدون نبيّهم بأمّهاتهم وآبائهم وأرواحهم.. كانت الصدور درعاً دونه ﷺ.. حتى الملائكة كانت درعاً دونه ﷺ.

يقول سعد بن أبي وقاص: (رأيت رسول الله ﷺ يوم أُحد ومعه رجلان يقاتلان عنه -عليهما ثياب بيض- كأشد القتال، ما رأيتهما قبل ولا بعد)[2].

كان ﷺ مسروراً بما يرى من تنفيذ لتعليماته.. سعيداً بانتصار وحماس فرسانه.. مصعب بن عمير الذي لا يملك سوى سيفه وقرآناً يملأ صدره وأجواءه.. يلقن المشركين دروساً كما يلقن الأنصار الآيات والسور، وذلك الشيخ الأعرج عمرو بن الجموح، ورفيق دربه عبد الله بن عمرو بن حرام يقاتلان كالشباب، لكن للسنّ أحكام قاسية.. سقط عبد الله والد جابر شهيداً على أرض المعركة.. أوّل شهيد في سجلات أُحد، وها هي الملائكة من فوقه ومن حوله (الملائكة تظلّله بأجنحتها)[3] يا لها من شهادة.. يا لها من كرامة، وبعده بزمن يسقط رفيق دربه عمرو بن الجموح، ليطأ بعرجته أرض الجنّة، ويدليها على أنهارها ومياهها ومن شرفات قصوره الفارهة..

وبينما كانت المعركة تتأجج بركاناً يقذف حمماً.. يقذف جثثاً ودماءً وصل:

ضيفان على المعركة

إنهما: حسيل والد حذيفة، وصحابي آخر هو (ثابت بن وقش) رضي الله عنهما.. لقد ضاقت بطموحهما أسوار المدينة وحصونها.. تلفتا فأحسا أن هذا المكان لا يليق

---

(١) حديث صحيح رواه مسلم (٢٤١٢).

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٥٤).

(٣) حديث صحيح رواه البخاري (١٢٤٤).

بشجاعين مثلهما، ففرّا إلى حيث الوغى.. إلى حيث السيوف والشهادة، وعندما وصلا إلى أُحُد.. وجدا أن المعركة قد حمي وطيسها، فتسلّلا بين المؤمنين دون أن يعلموا بهم، فماذا كانت العاقبة؟

يقول أحد الصحابة رضي الله عنه: (لما خرج رسول الله ﷺ إلى أحد وقع اليمان ابن جابر أبو حذيفة، وثابت بن وقش بن زعوراء في الآطام[1] مع النساء والصبيان، فقال أحدهما لصاحبه -وهما شيخان كبيران-: لا أبا لك ما ننتظر؟ فوالله ما بقي لواحد منّا من عمره إلا ظمأ حمار، إنما نحن هامة القوم. ألا نأخذ أسيافنا ثم نلحق برسول الله ﷺ!؟ فدخلا في المسلمين -ولا يعلمون بهما-)[2]، وقاتلا المشركين، ولكنهما شيخان كبيران، وفي الشيخوخة ضعف (فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون، وأما أبو حذيفة)[3]، فله قصة عجيبة سنعرفها بعد قليل.

ضيف ثالث على المعركة

اسمه (عمرو بن أقيش) أراد أن يسلم في يوم من أيام السلام والسكون، لكنه كان يتعامل بالربا مع بعض المشركين، ولم يكن في عجلةٍ من أمره لكي يسلم، ففضل أن يذهب ليأخذ رباه بصفته مشركاً، ثم يعود لكي يعلن إسلامه.

سافر ابن أقيش إلى المكان المقصود قبل غزوة أحد، ثم عاد ليجد المدينة لا تضحى بأموالها فقط، بل بأرواحها طاعة لله ولرسوله ﷺ، فهانت أموال عمرو أمام عينيه، وهان رِبَاه، وهان كل شيء في نظره، وكشفت الشدائد عن معدنه، وكشف لنا أحد الصحابة عن خبره فقال: (إن عمرو بن أقيش كان له رِباً في الجاهلية، فكره أن يسلم حتى يأخذه، فجاء يوم أُحد، فقال: أين بنو عمي؟ قالوا: بأُحُد، قال: أين فلان؟ قالوا: بأُحد، قال: أين فلان؟ قالوا: بأُحد.

فلبس لأمته، وركب فرسه ثم توّجه قِبَلهم، فلما رآه المسلمون، قالوا: إليك عنا يا عمرو. قال: إني قد آمنت، فقاتل حتى جرح فحمل إلى أهله جريحاً.

---

(١) الحصون أو البيوت المرتفعة.

(٢) سنده صحيح رواه ابن إسحاق ومن طريقه الحاكم ٣-٢٠٢: حدثني عاصم بن عمرو بن قتادة عن محمود بن لبيد. عاصم تابعي ثقة التقريب ٢٨٦ وشيخه صحابي وقد مر معنا .

(٣) سنده صحيح رواه ابن إسحاق ومن طريقه الحاكم ٣-٢٠٢ بالسند السابق.

فجاء سعد بن معاذ، فقال لأخته: سليه حمية لقومك، أو غضباً لهم، أم غضباً لله عزّ وجلّ؟ قال: بل غضباً لله عزّ وجلّ ورسوله، فمات، فدخل الجنّة وما صلّى لله صلاة)[1]. دخل الجنّة كما دخلها عمرو بن الجموح، وعبد الله بن عمرو بن حرام.. دخل الجنّة وما صام لله يوماً.

يا لكرم الله.. الجنّة - خلودها وسحرها وعوالمها لهذا الفارس من أجل لحظات، لكنها لحظات من التوحيد.. لحظات شارك فيها عمرو بن أقيش في الدفاع عن التوحيد وأهله، شارك فيها أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً.. شارك فيها طلحة وأبا عبيدة وسعيد بن زيد وسعد وعبد الرحمن بن عوف والزبير، وسعد بن معاذ وسعد بن عبادة وأبا دجانة، وأنس بن النضر.. أنس بن النضر الذي بهر من يراه بشجاعته، لقد برّ بقسمه.. ها هو كالأسد بين الصفوف لا تزيده الجراح الكثيرة إلاّ شراسة وإقداماً في الفتك بأعداء الله، ولا يتفوّق عليه إلاّ حمزة الذي كان يقاتل بطريقة جديدة، ويصرخ بمعنويات شهيد. شاهده سعد بن أبي وقاص ونقل ما شاهد فقال: (كان حمزة بن عبد المطلب يقاتل يوم أُحُد بين يدي رسول الله ﷺ بسيفين، ويقول: أنا أسد الله)[2].

كان حمزة يحزّ الرقاب، ويذل الطغاة، فهم يتساقطون أمامه.. لا شيء يصمد في وجهه.. لم يترك فرصة لأحد كي ينال من رسول الله ﷺ، ولم يترك فرصة لأحد لينال منه.. حتى ذلك البعيد عنه الذي لم يشترك في القتال، ولم يحمل سيفاً للدفاع حتى عن نفسه.. ذلك الأسمر الذي يراقب حمزة وحربته بيده.. لم يجد -حتى الآن- فرصة

---

(١) سنده لا بأس به رواه أبو داود ٢-٤٨٢ والبيهقي في الكبرى ٩-١٦٧ وغيرهم من طرق عن موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد بن سلمة، أنبأنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة. موسى ثقة ثبت وشيخه مثله التقريب ٥٤٩ و١٧٨ ومحمد بن عمرو حسن الحديث إذا لم يخالف التهذيب ٩-٣٦٧ وشيخه تابعي ثقة وهو ابن عبد الرحمن بن عوف.

(٢) سنده صحيح رواه: البيهقي، حدثنا أبو عبد الله، حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن بالويه، حدثنا محمد بن شاذان الجوهري، حدثنا معاوية بن عمرو، عن أبي إسحاق الفزاري، عن ابن عون، عن عمير بن إسحاق، عن سعد. أبو عبد الله هو الحاكم، وشيخه محمد بن بالويه هو أبو علي كما جاء في ترجمته في تاريخ بغداد ١-٢٨٢ والصواب أبو بكر، وقال فيه البرقاني: ثقة، وشيخه ثقة التقريب ٤٨٣ وشيخه ابن المهلب.. ثقة من شيوخ البخاري التهذيب ١٠-٢١٥ وإبراهيم بن محمد الفزاري ثقة حافظ التقريب ٩٢ وعمير بن إسحاق تابعي قال الحافظ: مقبول.. والصواب أنه: ثقة وقول ابن معين: ليس شيء يعني أنه قليل الحديث، وابن معين قال عنه: ثقة (قواعد في علوم الجرح للتهانوي - ٢٦٣) وقال النسائي: ليس به بأس، ولم يورده العقيلي إلا أنه لم يرو عنه إلا واحد.

للإجهاز عليه، وهو لا يجسر على اقتحام أهوال حمزة وجحيمه. إنه يقول: إنني (أنظر حمـــزة وأتبصّره، حتى رأيته في عرض الناس كأنه الجمل الأورق، يهدّ الناس بســـيفه هدّاً ما يقوم له شـــيء)[1]، وما يجرؤ أحـــد من قريش على التصدّي لهذا الحتف الذي يصرخ: أنا أسد الله.

لقد فرّق حمزة والأسود معه جمع قريش ومزّقوهم.. إنهم يهربون.. ينهزمون خلف الصخور، ووراء الجبال.

هـــا هو الزبير يلاحـــق فلولهم المنهزمة المهرولة من هنا وهناك، تاركين نســـاءهم خلفهـــم، حتى أن بإمكانه أخذ ماشـــاء منهن.. الزبير يقول: (واللـــه لقد رأيتني أنظر إلـــى خدم[2] هند بنت عتبة وصواحباتها مشـــمّرات هـــوارب، ما دون أخذهن قليل ولا كثير)[3].

ورأى منظر الهزيمة شاب صغير هو البراء بن عازب الذي يقول: (فأنا والله رأيت النساء يشددن، قد بدت خلاخلهنّ وأسوقهن رافعات ثيابهن)[4].

ويقول رضي الله عنه عن هزيمة المشـــركين: (فهزموهم، فأنا والله رأيت النســـاء يشتددن على الخيل، قد بدت خلاخيلهن وأسوقهن رافعات ثيابهن)[5].

الساحة الآن للرسول ﷺ وأصحابه.. هرب الوثنيون تاركين نساءهم في متناول الزبير وأصحابه، أما نساء المسلمين فكنّ كرجالهم يمارسن التمريض والإسعاف بالماء والدواء.

يقول أنس بن مالك: (لقد رأيت عائشـــة بنت أبي بكر وأم سليم وإنهما لمشمّرتان، أرى خدم ســـوقهما تُنْقِزان القرب على متونهما، فتفرغانه في أفواه القوم، ثم ترجعان فتملآنها، ثم تجيئان فتفرغانه في أفواه القوم)[6].

---

(١) سنده صحيح رواه ابن إسحاق (ابن كثير - ٣/٣٥) وقد مر معنا عند الكلام على وحشي.
(٢) الخدم: هي الخلاخيل.
(٣) سنده صحيح: رواه إسحاق: حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد، عن عبد الله بن الزبير عن أبيه.. وشيخ ابن إسحاق ثقة - التقريب (٢/٣٥١) ووالده تابعي ثقة - التقريب (١/٣٩٢).
(٤) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٤٣).
(٥) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٤٣) والبيهقي (٣/٢٢٩) واللفظ له.
(٦) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٦٣).

عائشـــة رضي الله عنها وهي في أوج نشاطها وحماسها.. تصف ما حدث بعبارة مختصرة، فتقول: (هزم المشركون يوم أُحد هزيمة بيّنة تعرف فيهم)[1].

وروى أحـــد الصحابـــة ما حدث لحملة الراية من المشـــركين شـــيئاً مذهلاً، لقد استبدلتهم سيوف حمزة ورفاقه سبع مرات أو أكثر.

يقول رضي الله عنه: (وقد كان لرسول الله ﷺ أوّل النهار، حتى قتل من أصحاب لواء المشـــركين سبعة أو تســـعة)[2] يتســـاقطون كجدران الطين القديمة وقد داهمتها الرياح والأمطار، لتخلو الساحة من ثأر المشركين وأصنامهم.

خلت الســـاحة إلاّ من ركضهـــم بحثاً عن بقايا حياة، بعد أن خبا ثأرهم، وســـافر بعضهم إلى الجحيم.. كانت الســـاحة مليئـــة بجثث الطواغيت المنتنة.. المتناثرة في كل مكان، وكان عدد الجثث حتى الآن قريباً من السبعين جثة.. أحد هذه الجثث كان حياً مصاباً.. يتظاهر بالموت خشـــية أن يجهز عليه أحد فرسان محمد ﷺ. لقد سقط هو وحلمـــه الذي حمله معه من مكة، فقد خرج ليقتل رســـول اللـــه ﷺ، لكن رفاق حمزة أسقطوهما معاً.. هذا الرجل يدعى (وهب بن عمير) ومازال لديه أمل بالحياة.

يقـــول أنس بن مالك: (كان وهب بن عمير شـــهد أُحداً كافـــراً، فأصابته جراحة، فكان في القتلى، فمرّ به رجل من الأنصار فعرفه، فوضع ســـيفه في بطنه حتى خرج من ظهره ثم تركه)[3].

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٦٦٦٨) والبيهقي (٣/٢٣٠) واللفظ له.

(٢) ظاهر سنده الضعف لكنه صحيح رواه أحمد ١-٨٧ و ٢-٢٨٨: حدثنا سليمان بن داود أخبرنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن ابن عباس، عبيد الله تابعي ثقة فقيه - أحد الفقهاء الســـبعة، وأبو الزناد تابعي ثقة مر معنا، وأما ابنه فمن أجله قلت ما قلت.. فهو ثقة لكنه تغير عندما قدم بغداد، فالنقاد يضعفون ما رواه في بغداد، وســـليمان ابن داود ثقة فقيه جليل ممن سكن بغداد، لكن الناقد الكبير علي بن المديني رحمه الله قال - مستثنياً رواية هذه الثقة عن شيخه عبد الرحمن: (ما روى سليمان الهاشمي عنه فهي حسان، نظرت فيها فإذا هي مقاربة، وجعل علي يستحسنها) ذكر ذلك الإمام الترمذي في علله: (٢/٦٠٦).

(٣) ســـنده قوي: رواه الطبراني (١٧/٦٢): حدثنا أحمد بن زهير التســـتري حدثنا محمد بن سهل بن عسكر، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا جعفر بن ســـليمان عن أبـــي عمران الجوني لا أعلمه إلا عن أنس. أبو عمران اســـمه عبد الملك بن حبيب تابعي ثقة التقريب ٣٦٢ وقد صح ســـماعه من أنس التهذيب ٦-٣٨٩ وتلميذ صدوق من رجال مسل التقريب ١٤٠ وعبد الرزاق معروف. وابن سهل ثقة من رجال مسلم التقريب ٤٨٢ وشيخ الطبراني هو تاج المحدثين من أحفظ أهل عصره. انظر البلغة للعلامة حماد الأنصاري (٨٩).

ماذا حدث لوهب بعد ذلك هل مات.. أم مازال حياً؟ سنعرف الإجابة بعد نهاية المعركة، والتي انتهت حتى الآن إلى هزيمة كالجحيم.. سقط فيها أكثر من ستين مشركاً، أما الأسرى فقد بلغ عددهم سبعين أسيراً. إن الساحة الآن تذكر بانتصار بدر.. سبعون للأسر وسبعون للقبر، ومحمد ﷺ يكحل ناظريه بمشهد يسرّ النفس ويشرح الصدر.

لكن هذا المهرجان لم يدم طويلاً، لقد كانت الساحة جميلة.. مكتنزة بالغنائم والانتصار.. كأن كل شيء قد انتهى.. المشركون انتهوا، والمؤمنون انتهوا إلى القمة. لكن بعض الصحابة الذين كانوا على القمة ارتكبوا كارثة، لقد حوّلوا تلك القمة إلى قاع دموي.. خاض فيه المشركون وشربوا وانتشوا.

ماذا فعل الرماة

كان بعض الرماة يشاهدون الانتصار الهائل والغنائم، فتيقنوا أن كل شيء قد حسم، وفي لحظة من لحظات الضعف الإنساني أغرتهم الغنائم، فقرّروا النزول، عندما أنساهم الحماس قول نبيهم ﷺ: (إن رأيتمونا تخطفنا الطير، فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم..)[1].

تأخر الأمر عليهم.. لم يرسل النبي ﷺ أحداً، فظنّوا أن كل شيء قد تمّ على ما يرام.. حكّموا رأيهم واجتهدوا، مع أن كلام رسول الله ﷺ لا يزال مدوياً في آذانهم، فخالفوا أمره وأمر أميرهم عبد الله بن جبير، وهتفوا ببعضهم (الغنيمة أي قوم الغنيمة، ظهر أصحابكم فما تنظرون؟

فقال عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ؟ قالوا: والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة)[2] وانحدر الرماة وانحدرت الكارثة معهم.. شاهدهم المشركون المنهزمون، فلاح لهم بريق الانتصار، واستجمعوا قواهم من جديد في محاولة للانقضاض ما دام خطر الأسهم المربك والشائك قد زال عن سماء المعركة.

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٣٠٣٩).

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٣٠٣٩).

عاد أبو سفيان والمشركون وهم يرون هذا الفراغ في السماء، والارتباك على الأرض.. الارتباك الذي أحدثه الرماة عندما زاحموا إخوانهم المكلفين بجمع الغنائم، وكأن أمر الغنائم لم تنزل به الآيات.. كان الرماة النازلون من الجبال يحسبون أن من سبق فهو أحق. حدثت فوضى عارمة داخل الصف المؤمن، وانفلت الزمام، وضاع النظام. وتحوّل الجيش الإسلامي إلى شبكة لا يعرف لها أوّل ولا آخر.

تلك الصفوف المنظمة التي تقاتل كبنيان مرصوص.. حولها الرماة -رضي الله عنهم- بمخالفتهم إلى شيء كالفوضى.. وصفه أحد الصحابة أدقّ الوصف، فقال: (لما غنم النبي ﷺ وأناخوا عسكر المشركين، أكبّ الرماة جميعاً فدخلوا في العسكر ينهبون. وقد التقت صفوف أصحاب النبي ﷺ، فهم: كذا -وشبك أصابع يديه- والتبسوا، فلما أخلّ الرماة تلك الخلّة التي كانوا فيها، دخلت الخيل من ذلك الموضع على أصحاب النبي ﷺ، فضرب بعضهم بعضاً، والتبسوا، وقتل من المسلمين ناس كثير)[1] بسبب واحدٍ فقط.. هو عدم الالتزام بتعليمات القيادة الصادرة منه ﷺ، وقد كلّف هذا الخطأ الكثير، والكثير. فالمعركة الآن...

المعركة بأيدي المشركين

والمبادرة بأيديهم، فالجيش المؤمن يقتل بعضهم بعضاً من الفوضى، والمشركون يعينوهم على ذلك، وفي قلب الظلمة والفوضى تعالى الصياح والضجيج، وصار المسلمون يصدقون كل شيء، ويستجيبون لكل صارخ، فقد دوت على أرض أُحد صرختان: حوّلت كل واحدة منها جيش الإسلام إلى زوبعة من الفوضى.

صرخة تقتل حسيلاً

فبينما كان حسيل والد حذيفة يتمتع بالنصر مع رسول الله ﷺ، بعد أن حرم منه هو وابنه حذيفة في غزوة بدر، إذ بصارخ يصيح بالمؤمنين ليتشفّى بمرأى الدماء.. كانت عائشة هناك.. تصبّ الماء للجرحى، وتداوي وتصغي لما حدث وتقول: (هزم المشركون يوم أُحُد هزيمة تعرف فيهم، فصرخ إبليس: أي عباد الله.. أخراكم.

---

(١) سنده قوي وهو حديث ابن عباس السابق عند أحمد (١/٨٧ - ٢/٢٨٨).

فرجعت أولاهم فاجتلدت هـــي وأخراهم، فنظر حذيفة بن اليمان فإذا هو بأبيه، فقال: أبي، أبي.

قالت: فوالله ما انحجزوا حتى قتلوه، فقال حذيفة: غفر الله لكم.

قال عروة بن الزبير بن العوام: فوالله مازالت في حذيفة منها بقية حتى لقي الله)[1].

يـــا لإيمان حذيفة.. يا لعتاب حذيفة. والده المؤمن المجاهد تقطعه الســـيوف، فلا يتلفظ بكلمة نابية، ولا حتى بعتاب مجروح.. تنهد قائلاً: غفر الله لكم.. ذرفها كالدموع وهو يرى حبيب قلبه، وصديقه ووالده الحنون يهوي بسيوف أحبابه خطأ.

إن لحذيفـــة إيمانـــاً صافياً كأنهار الجنّة.. رحم الله حســـيلاً ورحـــم الله الرماة، ورضي الله عنهم جميعاً.

وفي غمار المعركة الثانية.. كانت سيوف المشركين تنهش لحوم الفرسان ودماءهم، بينما كان وحشـــي ينتظـــر دور الحربة والحرية، ليجهز على حمزة وليبشّـــر جبير بن مطعم بـ:

استشهاد حمزة

كان حمزة يشـــاهد مـــا يحدث ويصمد لـــه، حتى لاح فراغ كبير وســـط المعمعة، فانكشف حمزة لوحشي..

سأترك الكلام لوحشي ليحدثنا عما فعله بأسد الله ورسوله حيث سأترك الحديث لوحشي الذي يســـتتر من حمزة.. يلبس الأحجار والأشجار.. يتقنّع بها خشية أن يراه هذا الموت الهائل الذي يهدّ الناس بسيفين أحمرين.. يهدّ الناس بصوته.. رعداً يدوي: أنا أســـد الله ورســـوله.. كان حمزة فارساً يجوب الشـــجاعة إلى أقصاها، بينما كان وحشي ينتظره كي يردفه إلى عالم الحرية.

كان حمـــزة يجوب الســـاحة بحثاً عن مُنازل، حتى كان آخـــر ضحاياه قرب مخبأ وحشـــي.. سقط آخر ضحايا حمزة فنهض وحشـــي الذي يقول: (خرجت أنظر حمزة

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٦٦٦٨).

openkandil.com

وأتبصره، حتى رأيته في عرض الناس كأنه الجمل الأورق يهدّ الناس بسيفه هدّاً، ما يقوم له شيء، فوالله إني لأتهيّأ له، أريده، وأستتر منه بشجرة أو بحجر ليدنو مني)[1] (وهززت حربتي حتى رضيت منها دفعتها إليه «رميته بحربتي»، فوقعت في ثنته حتى خرجت من بين رجليه)[2].

انفجرت دماء حمزة.. تساقطت على الأرض ولم يسقط.. التفت إلى طاعنه ولاحقه، وطاعنه خائف يقول: (وذهب لينوء نحوي، فغلب، وتركته وإياها حتى مات، ثم أتيته فأخذت حربتي، ثم رجعت إلى العسكر، وقعدت فيه، ولم يكن لي بغيره حاجة، إنما قتلته لأعتق)[3].

ودّع حمزة الدنيا، وقدم وحشي لسيده أغلى مبلغ في الدنيا يُدفع ثمناً لعبد. كان المسلمون في تراجع وانكسار.. كانوا في غفلة عن جسد حمزة الطاهر، الذي تقدم إليه شخص مجهول، فأخرج أداةً حادةً فجدع بها أنف حمزة، وشقّ بطنه وشوّه جسده الطاهر، ومثّل به، وهكذا يفعل الجبناء، وماذا لديهم سوى ذلك..؟

شاهد أحد الصحابة ما فعل بأسد الله - بحمزة عمّ رسول الله ﷺ، فانطلق إلى رسول الله ﷺ ليخبره بالفاجعة. لكن أين رسول الله ﷺ وسط هذا الغبار والفوضى..؟

إنه ليس على جبل أُحُد، فالرماة نزلوا، ولم يبقَ إلاّ قائدهم عبد الله بن جبير وقلّة معه من الصابرين، لكن المشركين باغتوهم بأعداد كثيرة، فاستشهدوا جميعاً على قمة الامتثال والجبل، أمّا على الأرض، فالأمر غامض جداً، بل هو مفجع.

ها هو أحد المشركين يدوي بالجموع المشتبكة.. صرخ كالشيطان وقال:

إن محمداً قد قتل

سمعه الزبير وأذهله ما سمع. يقول رضي الله عنه: (مالت الرماة إلى العسكر حين كشفنا القوم عنه يريدون النهب، وخلوا ظهورنا للخيل، فأُتينا من أدبارنا، وصرخ صارخ: ألا إن محمداً قد قتل، فانكفأنا، وانكفأ علينا القوم)[4].

---

(١) حديث صحيح مر معنا وهو حديث وحشي السابق عند ابن إسحاق والزيادة للبخاري.
(٢) حديث صحيح مر معنا وهو حديث وحشي السابق عند ابن إسحاق والزيادة للبخاري.
(٣) حديث صحيح مر معنا وهو حديث وحشي السابق عند ابن إسحاق والزيادة للبخاري.
(٤) سنده صحيح وقد مر معنا وهو بقية حديث الزبير عند ابن إسحاق.

لكــن أنس بن النضــر عم أنس بن مالك لم ينكفــئ.. كان يقاتل عن رجلين.. عن معركتين.. عن بدر، وعن أُحُد. يقول ابن أخيه أنس رضي الله عنه: إن عمّه (غاب عن بدر فقال: غبت عن أول قتال النبي ﷺ. لئن أشهدني الله مع النبي ﷺ ليرينّ الله «ما أصنــع»، ما أجد، فلقي يوم أُحد.. فهُزم الناس فقال: اللّهمّ إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء -يعني المســلمين- وأبرأ إليك مما جاء به المشــركون، فتقدم بسيفه فلقي سعد بن معاذ)[1]، (فاستقبل سعد بن معاذ فقال له أنس: يا أبا عمرو أين؟ واهاً لريح الجنّة «إني» أجده دون أحد..)[2]. (فقال سعد: أنا معك -

قال سعد: فلم أستطع أصنع ما صنع)[3].

وقال أنس بن مالك أنه عمه (قاتلهم حتى قتل، فوجد في جسده بضعٌ وثمانون من بين ضربة وطعنة ورمية)[4].. كان وجه أنس بن النضر مشــوّهاً لا يعرف.. كان جسده ميدانــاً لمعركة أخرى انتصر فيها الوفاء، وخرج منها أنس مزيناً بالطعنات والشــهادة والوعد الصادق، فلئن مات رسول الله ﷺ شهيداً، فليلحق به أنس بن النضر.

أما بعض الصحابة فقد أذهلهم الخبر وأســقط في أيديهــم، وانهارت معنوياتهم فولّوا عن أرض المعركة لا يلوون على شيء بعد أن رأوا هذه الكارثة، وسمعوا بمقتله ﷺ، وكان أحد هؤلاء (عثمان بن عفان وسعد بن عثمان -رجل من الأنصار- حتى بلغوا الجلعب -جبل بناحية المدينة مما يلي الأعوص)[5]، وكأنّهم يقولون لأنفسهم: وماذا نحن بعد رسول الله ﷺ؟

أمّا البقية ففضلوا الموت على ما مات عليه رسول الله ﷺ.. أحدهم هذا الفارس المجهول، الذي يقول عنه سهل بن سعد: (ما رأينا مثل ما أتى فلان، لقد فرّ الناس وما فرّ، وما ترك للمشــركين سادة ولا قادة إلا أتبعها يضربها بسيفه)[6]، وما زال يضربهم

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٤٨).

(٢) حديث صحيح رواه مسلم (الإمارة - ثبوت الجنة..) والزيادة عند البخاري.

(٣) حديث صحيح رواه أحمد.. وهو ثلاثي على شرط الشيخين كما قال ابن كثير.. حدثنا يزيد حدثنا حميد عن أنس.. وشيخ أحمد ثقة وهو ابن هارون.. وشيخه تابعي ثقة سمع من أنس وهو حميد الطويل.

(٤) حديث صحيح رواه مسلم (الإمارة - ثبوت الجنة..) والزيادة عند البخاري.

(٥) ســنده صحيح رواه ابن إســحاق ومن طريقه الأموي (ابن كثير - ٣-٥٥) حدثني يحيى بن عباد، عن أبيه عن جده.. وهذا الإسناد مر معنا. يحيى ثقة، وعباد تابعي ثقة.

(٦) حديث صحيح رواه البخاري (٤٢٠٢) وأبو يعلى - زوائد (١-٤٢٨) واللفظ له.

حتى الآن.. في الوقت الذي استشـــهد فيه صاحب التمرات، فقد (قاتل حتى قتل)[1]، كما سقط على أرض المعركة رجل فقير لكنه كان بحجم الدنيا.

استشهد مصعب

مصعـــب بن عمير، الذي خرج من ثروته وزينته ليلحق برســـول الله ﷺ.. مصعب الذي خـــرج من مكة وحيداً، ليثقف جيلاً من أجيـــال المدينة.. مصعب الذي خرج من المدينة نحو أُحُد.. لا يملك من الدنيا إلاّ سيفه ورداءه، وقرآناً يملأ صدره، ويغنيه عمّا يراه من حطام الدنيا.. سقط مصعب على أرض أُحُد.. تبكيه المدينة ومكّة، ويبكيه أحد الصحابـــة الصائمين عندما قدم له طعام إفطار شـــهي، فتذكر مصعباً وجوع مصعب فقال: (قتل مصعب بن عمير وهو خير مني، كفن في برده، إن غطي رأسه بدت رجلاه، وإن غطي رجلاه بدا رأسه، وقتل حمزة وهو خير مني، ثم بسط لنا من الدنيا -أعطينا من الدنيا ما أعطينا- وقد خشـــينا أن تكون حســـناتنا عجلت لنا، ثم جعل يبكي حتى تـــرك الطعام)[2]، وتذكره أيضـــاً رفيق دربه وعذابه خباب بن الأرتّ فقال: (هاجرنا مع رســـول الله ﷺ ونحن نبتغي وجه الله، فوقع أجرنا على الله، فمنّا من مضى بســـبيله ولم يأكل من أجره شيئاً، منهم مصعب بن عمير.. قتل يوم أُحد، ولم يترك إلاّ نمرة، كنّا إذا غطّينا رأسه بدت رجلاه، وإذا غطّينا رجليه بدا رأسه)[3] رضي الله عن مصعب ما أعظمه.. ســـافر والدموع من حوله، بعد أن ملأ الصدور والنفوس علماً وحباً ونظافة وثقافة.. نالت منه ســـيوف الشـــرك وهو يدافـــع عن دينه وعن نبيـــه ﷺ، ولم تكتف الســـيوف من جسده.. السكاكين والمشـــارط حملها الحقد فتفننت في جسده الطاهر تقطيعا وتشويها، بقر بطنه، وجدع أنفه، وقطعت أذناه.. هنيئاً لك مصعب.

كما نالت الســـيوف من ذلك الشـــاب العروس، الذي ترك فتاته ليموت دون دينه ونبيّه ﷺ، ليكمل احتفالاته في الجنّة، وكان قبيل سقوطه في صراع مع رجل شجاع من صفوف المشركين هو (أبو سفيان) وهو ليس أبو سفيان زعيم قريش. لا، ولكنه (أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب)

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري وقد مر معنا.

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (١-١٢٧٥).

(٣) حديث صحيح رواه البخاري (١٢٧٦) وقد حذفت كلمات بين عمير... وقتل. وهو قوله رضي الله عنه: ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهد بها.

ابن عمّ رسـول الله ﷺ الذي آذاه في مكة، وهو ما يزال حتى الآن مشـركاً، وقد تغلب عليه حنظلة وعلاه بسيفه وكاد أن يطيح برأسه ولكن ما الذي حدث؟

حنظلة بن أبي عامر وأبو سفيان بن الحارث

حنظلة (التقى هو وأبو سفيان بن الحارث، فلما استعلى حنظلة رآه شداد بن شعوب، فعلاه بالسـيف حتى قتله، وقد كاد يقتل أبا سـفيان)[1]، لكنه نجا، وليس لحنظلة أكثر من ذراعين.. باغته شـداد وأرسله إلى الموت شهيداً. تتحدث عنه الدنيا، وعن شهادته.. سافر حنظلة وسافر معه شاب يحتفل بالشهادة على طريقته المحبّبة إلى نفسه.

شهادة هو اختارها

وانتقـى من المولى كيفيّتها.. إنه عبد الله بن جحـش، الذي دعا الله قبل المعركة فقال: (اللّهمّ ارزقني رجلاً شـديداً حرده، شـديداً بأسه، أقاتله ويقاتلني، ثم يأخذني فيجـدع أنفي وأذني، فإذا لقيتك غداً، قلت: من جدع أنفك وأذنك؟ فأقول: فيك وفي رسـولك ﷺ، فتقول: صدقت)[2]، فاستجاب الله لعبد الله بن جحش، فالتقى بمحارب عنيف وشديد فقتله، ولما هوى عبد الله على الأرض أخذه ذلك المشرك ومثّل به، فشقّ أنفه وأذنه، وعلّق أنفه وأذنه بخيط..

كل هؤلاء سـافروا.. كل هؤلاء الشـهداء كانوا في طريقنا ونحن نبحث عن رسول الله ﷺ.. تعالوا خلف هذا الفاتك المغوار، الذي يجول ويصول دون أن يصدق أن رسول الله ﷺ قد قتل، لكنه في الوقت نفسـه لا يعتقد أن رسـول الله ﷺ على ساحة أُحد، ولا خلف جبالها، ولا حتى على ساحة بدر أو في المدينة.

لقد عاد هذا الشجاع من جولة كالفجيعة.. كان يقلّب الجثث، فتؤلمه وجوه أصحابه وأحبابـه من الشـهداء وهو يبحث بمرارة عن حبيبه محمـد ﷺ، لكنه لم يجده فأين ذهب؟ وأين ذهبت الظنون بهذا الشاب المكسور الحزين؟

---

(١) سنده صحيح مر معنا كثيراً رواه ابن إسحاق، ومن طريقه السراج (الإصابة ١٣-٢٩٩) رواه الحاكم ٣-٢٠٤ حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن جده.

(٢) سنده جيد وقد مر معنا.

تعالــوا نتعرف عليه وعلى حيرتــه.. إنه زوج فاطمة الزهــراء.. إنه علي ابن أبي طالب، وهو يظن أن:

رسول الله ﷺ في السماء

يقــول رضي الله عنه: (لما انجلى الناس عن رســول الله ﷺ يوم أُحد، نظرت في القتلى فلم أرَ رســول الله ﷺ، فقلت: والله ما كان ليفرّ، ولا أراه في القتلى، ولكن أرى اللــه غضب علينا بما صنعنــا، فرفع نبيّه ﷺ، فما لي خير مــن أن أقاتل حتى أُقتل، فكســرت جفن ســيفي ثم حملت على القــوم فأفرجوا لي، فإذا أنا برســول الله ﷺ بينهم)[1].

كان ﷺ غارقــاً في أحزانه ودمائه، حيث (جرح وجه رســول الله ﷺ، وكســرت رباعيته، وهشمت البيضة على رأسه)[2] هشمت البيضة التي كان يغطي بها رأسه فشجّ رأسه، (وذلق من العطش حتى جعل يقع على ركبتيه)[3].

رأى عليّ بن أبي طالب رســول الله ﷺ وتألم لما حدث، لكنه كان في أشدّ حالات الارتيــاح لأنه لم يــزل حياً على الأرض.. فكيف علم الآخرون بمكانه؟ وكيف أحاط كل هذا الجمع به؟ فقد كان حوله أبو بكر وعمر وطلحة والزبير وسعد والحارث بن الصمة وأبو طلحة وابن مســعود وأكثر من اثني عشــر رجلاً من الأنصار؟ لن يحدّثنا أيّاً من هؤلاء فالكلمة لـ:

أول من عرفه ﷺ

الكلمة للشاعر المجاهد (كعب بن مالك) حيث: (كان كعب أوّل من عرف رسول الله ﷺ بعد الهزيمة، وقول الناس: قتل رســول الله ﷺ. قال كعب: عرفت عينيه تزهران من تحت

---

(١) سنده حسن رواه أبو يعلى زوائد ٢-٤٣٠ حدثنا أبو موسى، ثقة ثبت حافظ التهذيب ٩-٤٢٥ حدثنا محمد بن مروان العقيلي، حســن الحديث إذا لم يخالف قال الحافظ: صدوق له أوهام ٥٠٦، عن عمارة بن أبي حفصة ثقة من رجالهما التقريب ٤٠٨.

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٧٥).

(٣) سنده صحيح رواه أبي شيبة ٧-٣٧١: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن الزبير. عفان ثقة ثبت إذا شــك في حرف من الحديث تركه، وشــيخه ثقة معروف وبقية السند لا يسأل عنها وقد مر معنا كثيراً.

المغفر، فناديت بأعلى صوتي: يا معشـــر المسلمين أبشروا، هذا رسول الله ﷺ، فأشار إليّ أن انصت «اسكت»)[1]. ربما لكي لا يعلم المشركون بمكانه.

سمع هذا الصرخة سعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، وسبعة من الأنصار، فهبوا نحو صاحبها، وســمع الصرخة جمع من المشــركين فلحقوا بهم، فماذا حدث يا أنس؟ أجب بالله عليك. يقول أنس رضي الله عنه: (إن رســول الله ﷺ أفرد يوم أُحد في ســبعة من الأنصار ورجلين من قريش، فلما رهقوه[2] قال ﷺ: من يردهم عنّا وله الجنّة، أو هو رفيقي في الجنّة؟

فتقــدم رجــل من الأنصار فقاتل حتى قتل، ثم رهقوه، فقــال: من يردّهم عنّا وله الجنّة أو هو رفيقي في الجنّة.

فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل، فلم يزل كذلك حتى قتل الســبعة، فقال رســول الله ﷺ لصاحبيه: ما أنصفنا أصحابنــا)[3] يعني الأنصار. لكن الأنصار كانوا حضوراً غامراً.. مفعماً بالحب والفداء.. يصنعون الأحداث، فيتحدث التاريخ وفاءً.

لقد التحق بالأنصار الشهداء شــهداءٌ آخرون، فزاد مجد الأنصار وفخرهم على أرض أُحُد.

يقول أحدهم وكأنه يكمل حديث أنس الســابق: (لما كان يوم أُحد وولّى الناس، كان رسول الله ﷺ في ناحية «في اثني عشر رجلاً. منهم طلحة»، فأدركهم المشركون، فقال النبــي ﷺ: مــن للقوم؟ «قال طلحة: أنا. قال ﷺ: كما أنــت»، فقال رجل: أنا، قال ﷺ: أنت.

فقاتــل حتى قتل. ثم التفت فإذا المشــركون، فقال ﷺ: من لهم؟ «قال طلحة: أنا، قال ﷺ: كما أنت». فقال رجل من الأنصار: أنا، قال ﷺ: أنت.

---

(١) ســنده صحيح رواه ابن إسحاق ومن طريقه الطبراني في الأوسط، مجمع البحرين، ٥-١٠٥ والبيهقي في الدلائل ٢-٤٨٢: حدثني الزهري، عن عبد الله بن كعب بن مالك. الزهري إمام معروف وشــيخه له رؤية وتابعي ثقة له رؤية رواه عن والده.

(٢) أي اقتربوا منه.

(٣) حديث صحيح رواه مسلم (الجهاد - غزوة أحد).

فقاتــل حتى قتل. فلــم يزل كذلك حتى بقي مع نبي اللــه طلحة، «فقال ﷺ: من للقوم؟ قال طلحة: أنا» فقاتل طلحة قتال الأحد عشر حتى قطعت أصابعه، فقال حسّ، فقال رســول الله ﷺ: لو قلت: باسم الله، لرفعتك الملائكة والناس ينظرون، ثم ردّ الله المشــركين)[1] الذين ســمعوا بمكانه ﷺ ولم يبق معه ﷺ في هذا الوقت ســوى اثنين مــن الصحابــة.. يقول أحد الصحابة: (إنه لم يبق مع النبــي ﷺ في تلك الأيام الذي يقاتل فيهن غير طلحة وســعد)[2]، وقد قاتل طلحة حتى قطعت أصابعه وشــلّت يده.. رآها أحد الذين أدركوا الجاهلية والإسلام واسمه: قيس بن أبي حازم فقال: (رأيت يد طلحة التي وقى بها النبي ﷺ قد شلّت)[3].

أثناء هذه الظروف العصيبة والجراح الدامية، دوت صرخة كبيرة نحو رسول الله، وذلك بعد أن انتشر الخبر أن رسول الله ﷺ لا يزال على قيد الحياة، فتداعى الصحابة من كل مكان (فلما عرفوا رســول الله ﷺ نهضوا به معهم نحو الشــعب، ومعه أبو بكر وعمر وعليّ وطلحة والزبير والحارث بن الصمة في رهط من المسلمين، ولما أسند رسول الله ﷺ في الشعب، أدركه أُبيّ بن خلف وهو يقول: يا محمد.. لا نجوت إن نجوت.

فقال القوم: أيعطف عليه يا رسول الله رجلٌ منّا؟

فقال: دعوه.

فلمــا دنا تناول رســول الله ﷺ الحربة من الحارث بــن الصمة)[4] أخذ النبي ﷺ الحربة وهو في أشــدّ حالات الإعياء والعطش، لدرجة أنه كان يمشــي ويسقط، ولكنه استجمع قواه ليبعث بها مع حربة الحارث بن الصمة نحو جسد هذا الطاغوت النزق.

---

(١) حديث حسن بما قبله عدا ما بين الأقواس الصغيرة وسنده فيه ضعف، لأنه من رواية أبي الزبير عن جابر وهو مدلس ولم يصرح بالسماع من جابر هنا والرواية عند النسائي - ٦-٣٠ والطبراني ٨-٣٠٤ والحاكم ٤-٥٧٠ ولآخر الحديث شواهد تقويه عند المقدسي في المختارة ٣-٤٢ والطبراني في الشاميين بسند فيه تابعي مجهول عن أنس ٢-١٢٨.

(٢) حديث صحيح رواه البخاري عن أبي عثمان النهدي (٤٠٦٠ - ٤٠٦١).

(٣) حديث صحيح رواه البخاري (٣٧٢٤).

(٤) سنده صحيح رواه ابن إسحاق ومن طريقه أبو نعيم (٤٨٢) وقد مر معنا وللحديث شواهد.. ولم أذكر بقية الحديث لأنه من بلاغات ابن إسحاق دون سند وهو قوله: يقول بعض القوم -فيما ذكر لي- : فلما أخذها رســول الله ﷺ -أي الحربة- انتفض بها انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشُّعَر عن ظهر البعير إذا انتفض، ثم استقبله فطعنه بها طعنة تدأد منها عن ظهر فرسه مراراً. والشُّعُر: ذباب أزرق يؤذي الإبل.

الرسول يستسقي دماءً

لا يستسقى مطراً، بل الساحة والصحابة بأشدّ الحاجة إلى دماء هذا الطاغوت الجرىء، الذي سفك هو وأخوه من الدماء ما يكفي.

سأترك الحديث للزبير ليكمل لنا القصة: يقول رضي الله عنه: (شجَّ النبي ﷺ يوم أُحُد في وجهه، وكسرت رباعيته، وذلق من العطش حتى جعل يقع على ركبتيه، وتركه أصحابه. فجاء أبي بن خلف يطلبه بدم أخيه: أمية بن خلف، فقال: أين هذا الذي يزعم أنه نبيّ فليبرز لي، فإنه إن كان نبياً قتلني.

فقال رسول الله ﷺ: أعطوني الحربة. فقالوا: يا رسول الله، وبك حراك؟ فقال: إني قد استسقيت الله دمه.

فأخذ الحربة ثم مشى إليه، فطعنه، فصرعه عن دابّته، وحمله أصحابه فاستنقذوه، فقالوا له: ما نرى بك بأساً.

قال: إنه قد استسقى الله دمي، إني لأجد لها ما لو كانت على ربيعة ومضر لوسعتهم)[1]، ثم هلك مع من هلك من الطواغيت قبله، ولحق بأخيه إلى الجحيم - أعاذنا الله منها، وهرب أتباعه بعد أن رأوا تلك الضربة النبوية المميتة، وتراكضوا نحو أصحابهم يخبرونهم عن رمح رسول الله ﷺ، وعن قوّة رسول الله ﷺ ليكدر عليهم بقية نصرهم.

أمّا رسول الله ﷺ، فبعد أن زرع الرمح في جسد أبي بن خلف.. رجع إلى مكانه متعباً يشير إلى سنّه المكسورة، وجثّة ذلك الطاغوت فقال ﷺ: (اشتدّ غضب الله على قوم فعلوا بنبيّه -يشير إلى رباعيته- اشتدّ غضب الله على رجلٍ يقتله رسول الله في سبيل الله)[2] (اشتدّ غضب الله على قوم دموا وجه نبيّ الله)[3].

(اشتدّ غضب الله على من دمى وجه رسول الله ﷺ)[4].

---

(١) سنده صحيح مر معنا قبل قليل رواه ابن أبي شيبة ٣-٣٧١: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٧٣).

(٣) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٧٤).

(٤) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٧٥).

رجع ﷺ بينما كان أبو طلحة وغيره كالقلعة حوله ﷺ.

يقول أنس رضي الله عنه: (لما كان يوم أُحد انهزم ناس عن رسول الله ﷺ، وأبو طلحة بين يديه مجوباً عليه بحجفة، وكان رامياً شديد النزع، كسر يومئذٍ قوسين، أو ثلاثة، وكان الرجل يمرّ معه الجعبة من النبل، فيقول رسول الله ﷺ: انثرها لأبي طلحة، ثم يشرف على القوم، فيقول أبو طلحة: يا نبي الله بأبي أنت وأمي، لا تشرف، يصيبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك)[1].

كان أبو طلحة قائمة من الخيارات الجميلة بين يديه عليه السلام، (وكان أبو طلحة يدفع صدر رسول الله ﷺ بيده ويقول: يا رسول الله هكذا لا يصيبك سهم، وكان أبو طلحة يسور نفسه بين يدي رسول الله ﷺ، يقول: يا رسول الله إني قوي جلد، فوجهني في حوائجك وابعثني حيث شئت)[2].

لم تصب سهام رسول الله ﷺ، لكنها نقشت الشهادة على صدر أحد شباب الصحابة.. كانت شهادة غريبة. غريبة لأن صاحبها لم يمت في أُحد، ولا بعد أُحد، ولا حتى في حياة النبي ﷺ. فما قصة هذا:

الشهيد الذي يمشي على الأرض

شاب اسمه (رافع بن خديج) شهيد، لكنه يعيش بين الناس.. يأكل معهم ويشرب ويصلّي ويصوم، بل ويجاهد في معارك أخرى في هذه الدنيا، مع أنه من شهداء أُحد! كيف ذلك..؟

تقول زوجته رضي الله عنها: (إن رافعاً رمى مع رسول الله ﷺ يوم أُحد بسهم، في ثندوته، فأتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، أنزع السهم؟

قال ﷺ: يا رافع.. إن شئت نزعت السهم والقطبة جميعاً، وإن شئت نزعت السهم وتركت القطبة، وشهدت لك يوم القيامة أنك شهيد. فنزع رسول الله ﷺ السهم، وترك

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٦٤).

(٢) سنده كالذهب رواه عبد بن حميد (٣٩٩) حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس.. وسليمان ثقة إمام حافظ وبقية السند مر معنا.

القطبة فعاش بها)[1] حتى مات حاملاً شـهادته على ثندوته.. على صدره، بينما كانت ذقون المؤمنين على صدورهم، فأمن الصحابة من جديد بعد أن أنزل الله:

النعاس من جديد

يقول الزبير بن العوام رضي الله عنه: (لقد رأيتني مع رسـول الله ﷺ حين اشتدّ الخوف علينا، أرسـل الله علينا النوم، فما منّا من رجل إلاّ ذقنه في صدره، فوالله إني لأسـمع قول معتب بن قشـير -ما أسمعه إلاّ كالحلم- يقول: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا. فحفظتها منه، وفي ذلك أنزل الله: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنـا،، لقول معتب)[2] والآيات التي نزلت في هذا المنافق المدعو: (معتب بن قشـير) وبقايا المنافقين الذين أبقاهـم الخوف، وأفصح عن نفاقهم الخوف.. هذه الآيات هي قولـه تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾[3].

أمـا أولئك الذين لاذوا بالفرار بعـد نزول الرماة وحدوث الانتكاسـة، فقد تاب الله عليهم وعفـى عنهم وأنزل فيهم قوله تعالـى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾[4].

---

(١) سـنده صحيح رواه الطبراني: حدثنا علي بن عبد العزيز، حدثنا حجاج بن المنهال (ح) وحدثنا محمد بن محمد التمار، حدثنا أبو الوليد ومحمد بن كثير.. قالوا: حدثنا عمرو بن مرزوق الواشـحي، حدثنا يحيى بـن عبد الحميد بـن رافع بن خديج عن جدته وهي امرأة رافع رضي الله عنه.. ويحيى تابعي ثقة الجرح والتعديـل ٩-١٦٨ وتلميذه صدوق التهذيب ٨-١٠١ وتلاميذ عمرو كلهم ثقات وأبو الوليد هو الطيالسـي وشيخ الطبراني وتلميذ الحجاج هو الثقة علي بن عبد العزيز بن المرزبان البغوي (البلغة - ٢٢٨).

(٢) سنده صحيح مر معنا كثيراً رواه ابن إسحاق (تفسير ابن كثير - ١٢٦/٢): حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عبد الله بن الزبير قال: قال الزبير.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٥٤.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٥٥.

أمّا على أرض المعركة الآن فيقول أنس: (لقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وإنهما لمشمِّرتان، أرى خدم سوقهما تنقزان القرب على متونهما، تفرغانه في أفواه القوم، ثم تجيئان فتفرغانه في أفواه القوم)[1].

أمّا عمر بن الخطاب فيحدّثنا عن امرأة عظيمة أخرى هي «أم سليط»، فيقول: (إنها كانت تزفر لنا القرب يوم أُحد)[2].

شرب النبي ﷺ وشرب العطشى، وانحاز كل جيش إلى معسكره إلاّ مسلماً مشغولاً بمطاردة فلول المشركين، فيطارده الإعجاب في كل مكان يصول فيه ويجول. لقد كان هذا الفارس المتغلغل في جموع المشركين وأجسادهم ملء السمع والبصر من الصحابة.. كانوا يمدحونه.. يرون أنه أكثر من صارع الكفار وصرعهم، وأنه لا أحد ممن بقي حياً من المسلمين قاتل مثل قتاله، فسمع الرسول ﷺ بأمره، فسأل عن اسمه ونسبه؟ فأخبروه. فلم يعرفه، ووصفوا له وجهه وجسده ولباسه فلم يعرفه، وبينما كان يطارد إحدى ضحاياه مرت ضحيته، ومرّ كالسهم وراءها بين عيني رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ كلمة آلمت الصحابة جداً:

هذا الفارس من أهل النار

الصحابي سهل بن سعد رضي الله عنه كان حاضراً يسمع ويرى، ويروي فيقول: (إنه قال: يا رسول الله -يوم أُحد- ما رأينا مثل ما أتى فلان - أتاه رجل - لقد فرّ الناس وما فرّ، وما ترك للمشركين شَاذَّة ولا فَاذَّةً إلا اتبعها يضربها بالسيف.

قال ﷺ: ومن هو؟ فنسب لرسول الله ﷺ نسبه فلم يعرفه، ثم وصف له بصفة فلم يعرفه، حتى طلع الرجل بعينه، فقال: ذا يا رسول الله الذي أخبرناك عنه.

فقال: هذا؟ فقالوا: نعم. فقال ﷺ: إنه من أهل النار.

فاشتدّ ذلك على المسلمين، قالوا: أيّنا من أهل الجنّة إذا كان فلان من أهل النار؟ فقال رجل من القوم: يا قوم، أنظروني فوالذي نفسي بيده لا يموت على مثل الذي

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٣٨١١).
(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٧١).

أصبح عليه، ولأكونن صاحبه من بينكم. ثم راح على جده في العدو، فجعل الرجل يشدّ معه إذا شدّ، ويرجع معه إذا رجع، فينظر ما يصير إليه أمره، حتى أصابه جرح أذلقه[1]، فاستعجل الموت، فوضع قائم سيفه بالأرض، ثم وضع ذبابه بين ثدييه، ثم تحامل على سيفه حتى خرج من ظهره.

وخرج الرجل يعدو ويقول: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أنك رسول الله. حتى وقف بين يدي رسول الله ﷺ، فقال ﷺ: وذاك ماذا؟ فقال: يا رسول الله، الرجل الذي ذكر لك فقلت: من أهل النار، فاشتدّ ذلك على المسلمين وقالوا: أيّنا من أهل الجنّة إذا كان فلان من أهل النار؟ فقلت: يا قوم أنظروني، فوالذي نفسي بيده لا يموت على مثل الذي أصبح عليه، ولأكونن صاحبه من بينكم، فجعلت أشدّ معه إذا شد، وأرجع معه إذا رجع، أنظر إلى ما يصير أمره، حتى أصابه جرح أذلقه، فاستعجل الموت، فوضع قائم سيفه بالأرض، ووضع ذبابه بين ثدييه، ثم تحامل على سيفه حتى خرج من بين ظهره، فهو ذاك يا رسول الله يضطرب بين أضغاثه.

فقال رسول الله ﷺ: إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنّة فيما يبدو للناس، وإنه من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس، وإنه لمن أهل الجنّة)[2] كما في قصة عمرو بن أقيش الذي لم يسلم إلاّ وسط المعركة، واستشهد فدخل الجنّة وهو لم يصلّ لله ركعة واحدة.

أمّا هذا البطل المجاهد فهو من أهل النار، ليس لأنه غير مسلم. بل هو مسلم، لكن هناك فرق بين الاستشهاد والانتحار، وهذا البطل المجاهد قد انتحر، فلم يصبر لتقتله جروحه، أو يشفى منها. لم يقتله أحد، بل هو الذي قتل نفسه، ولو أدرك ما للجراح والآلام من منافع لطلب المزيد، فقد قال ﷺ: (ما أحد من الناس يصاب ببلاء في جسده الا أمر الله عز وجل الملائكة الذين يحفظونه فقال اكتبوا لعبدي كل يوم وليلة ما كان يعمل من خير ما كان في وثاقي)[3] ليبدأ من جديد مطهراً من كل ذنب.

---

(١) بلغ به الألم أشده.

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٤٢٠٢) وأبو يعلى (زوائد - ٤٢٨/١) واللفظ له وسنده عنده، حسن: حدثنا يحيى بن أيوب، حدثنا سعيد بن عبد الرحمن القاص عن أبي حازم، عن سهل بن سعد.. وهذا السند حسن من أجل سعيد...

ملاحظة: ورد في الزوائد أنه: سعيد القاص والصواب: القاضي، قاضي بغداد وليس في ترجمته ما يدل على انه قاص، وأبو حازم لم يسمع إلا من سهل جامع التحصيل ٢٢٧.

(٣) سنده صحيح رواه أحمد ٢-١٥٩ وغيره من طريق علقمة بن مرثد عن القاسم بن مخيمرة عن عبد الله ابن عمرو. وعلقمة والقاسم ثقات من رجال مسلم.

ويقــول ﷺ عن الذين يكثر ابتلاؤهــم وامتحانهم في الدنيا: (إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وأن الله تعالى إذا أحبّ قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضى، ومن سخط فله السخط)[1].

أمّا عن مثل هذا المسلم الشجاع، فقد قال ﷺ: (من قتل نفسه بحديدة، فحديدته في يده، يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم)[2].

مــات ذلك الفــارس ومضى إلى حيث مضى، ونهض ﷺ إلــى مكان عند صخرة ليستريح، وحوله من حوله من الصحابة. لكن النبي ﷺ وقبل أن يستريح أراد الإطلاع إلى ما آلت إليه المعركة، فحاول الصعود على الصخرة فلم يســتطع، لأنه كان مرهقاً. ولأنّه كان يلبس درعين، فتأمّله طلحة رضي الله عنه، وتأمّل يده تشــخب دماً، فهانت عليه آلامه ومتاعبه ويده، فنثرها جميعاً تحت قدميه ﷺ.. حقاً لقد:

أوجب طلحة

يقول الزبير رضي الله عنه: (خرجنا مع رسول الله ﷺ في أُحد «وكان على النبي ﷺ يوم أُحد درعان»، فذهب رسول الله ﷺ لينهض على صخرة، فلم يستطع، فبرك طلحة بن عبيد الله تحته، فصعد رسول الله ﷺ على ظهره حتى جلس على الصخرة.

قال الزبير: فسمعت رسول الله ﷺ يقول: أوجب طلحة)[3].

أي فعل ما يوجب دخوله الجنّة.

نظــر ﷺ إلى ما أراد أن ينظر إليه (ثم أمر رســول اللــه ﷺ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فأتى بالمهراس[4]، فأتاه بماء في درقته، فأراد أن يشرب منه، فوجد له ريحاً فعافه، فغسل به الدم الذي في وجهه وهو يقول: اشتدّ غضب الله على من دمى وجه رسول الله ﷺ)[5].

---

(١) ســنده قوي رواه الترمذي ٤ - ٦٠١ وغيره عن يزيد بن أبي حبيب عن ســعد بن ســنان عن أنس. وسعد تابعي صدوق ويزيد ثقة من رجال الشيخين.

(٢) حديث صحيح رواه مسلم ١-١٠٣.

(٣) سنده صحيح مر معنا رواه ابن إسحاق ومن طريقه - ابن حبان (زوائد - ٥٤٦) واللفظ له والحاكم ٣-٣٧٤ وأحمــد ١-١٦٥: حدثنــي يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عــن عبد الله بن الزبير عن أبيه: ويحيى تابعي ثقة.. والزيادة للحاكم.

(٤) إناء صغير مصنوع من الحجارة.

(٥) سنده صحيح رواه ابن إسحاق من الطريق السابق.

لكن الله سبحانه وفي هذه الساعة المريرة يرسل جبريل عليه السلام إلى نبيه مصححاً.. شارحاً صدره، ليتسع لأكثر من هذه المعركة ومآسيها.. ليكون صدراً من تسامح وهداية لكل الأرض، فبعد أن (شج في وجهه، وكسرت رباعيته، ورمي رمية على كتفه، فجعل يسيل الدم على وجهه، وهو: يمسحه ويقول: كيف تفلح أمة فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى الله، فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾[1]).

امتثل ﷺ، فمسح قوله ودمه بدعاء كالمطر: (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)[2]، وجاءت ابنته فاطمة الزهراء رضي الله عنها لتغسل الدم عن وجه أبيها، كما غسلته أيام مكة المضنية.

يقول أحد الصحابة عليهم السلام: (أما والله إني لأعرف من كان يغسل جرح رسول الله ﷺ، ومن كان يسكب الماء، وبما دووي.

كانت فاطمة عليها السلام بنت رسول الله ﷺ تغسله، وعليّ بن أبي طالب يسكب الماء بالمجن، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلاّ كثرة، أخذت قطعة من حصير وأحرقتها، وألصقتها فاستمسك الدم)[3].

وبعد أن استمسك الدم، وهدأت الساحة، أُخبر ﷺ باستشهاد حمزة ورفاقه فتكدّر، وحزن حزناً شديداً، ثم قال: (من رأى مقتل حمزة؟ فقال رجل أعزل: أنا رأيت مقتله، قال ﷺ: فانطلق أرناه.

فخرج ﷺ)[4] في الوقت الذي يتحدث البعض عن مقتل النبي ﷺ لأنهم لم يروه حتى الآن، فهم هناك مهمومون في البحث عنه. يقول أحد الصحابة رضي الله عنه:

---

(١) حديث صحيح رواه مسلم (١٧٩١) والترمذي (٣٠٠٣) واللفظ له وسنده صحيح.

(٢) سنده حسن رواه ابن حبان ٣-٢٥٤ والضحاك ٤-١٢٣ من طريق محمد بن فليح عن موسى بن عقبة عن الزهري عن أنس. ومحمد حسن الحديث من رجال البخاري، التقريب ٥٠٢ وموسى والزهري إمامان ثقتان ثبتان.

(٣) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٧٥).

(٤) سنده حسن رووه ابن أبي شيبة ٧-٣٧٢: حدثنا خالد بن مخلد، حدثنا عبد الرحمن بن عبد العزيز، حدثنا الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه - وهذا السند رجاله ثقات إلا أن في عبد الرحمن بن عبد العزيز كلاماً لا ينزل به عن رتبة الحسن، فهو ثقة كما قال يعقوب بن شيبة، وهو كثير الحديث عالم بالسيرة كما قال ابن سعد ووثقه ابن حبان وهو من رجال مسلم. أما جرحه فهو غير مفسر. قال الأزدي: ليس بالقوي عندهم.. وقال ابن أبي حاتم شيخ مضطرب الحديث (التهذيب ٦/٢٢٠) وقال الحافظ ملخصاً أقوال العلماء في التقريب (١/٤٨٩) صدوق يخطئ. وليس هناك من لا يخطئ.

obeikandl.com

(فما زلنا كذلك ما نشكّ أنه قتل، حتى طلع رسول الله ﷺ بين السعدين، نعرفه بتكفئه إذا مشى، ففرحنا كأنه لم يصبنا ما أصابنا.

فرقي نحونا وهو يقول: اشتدّ غضب الله على قوم دموا وجه رسول الله ﷺ. ويقول مرة أخرى: اللّهم إنه ليس لهم أن يعلونا. حتى انتهى إلينا فمكث ساعة، فإذا أبو سفيان يصيح في أسفل الجبل: أعل هبل، أعل هبل -يعني آلهته-)[1].

أطلق أبو سفيان هذه الكلمات المنحطّة منتشياً بنصر غير مؤكّد، فقد هزم هو وجيشه في أوّل المعركة، وكاد الزبير أن يسبي زوجته هند ورفيقاتها، وجُندل من جيشه سبعون، ومازال المسلمون يحتفظون بسبعين آخرين في الأسر. أما المسلمون، فقد استشهد منهم سبعون، ولم يؤسر منهم أحد.

لو كان نصر أبي سفيان وجيش الشرك من خلفه حقيقياً لخلصوا رفاقهم من الأسر، وطاردوا المؤمنين إلى المدينة، وهي قريبة من أُحد، لكن المشركين لم يصدقوا أنهم قتلوا حمزة.. لم يصدقوا أنهم نجوا مما حدث أوّل النهار، وكان أعلى ما حصلوا عليه هو إطلاق إشاعة موت الرسول ﷺ.. هم أطلقوها، وهم صدّقوها.

أمّا المسلمون، فيعتبرونها خسارة إذا ما قارنوها ببدر، أو قارنوا أوّل النهار بآخره، لكن المعركة في الميزان العسكري نصر للمؤمنين، وهم الأعلون الآن فوق الجبل، وأبو سفيان في أسفل الجبل يزعج الجبال والفضاء ويقول: أعل هبل.

ولما لم يجد إجابة لهذا الاستفزاز.. ألحق به استفزازاً آخر فقال: (أين ابن أبي كبشة؟ أين ابن أبي قحافة؟ أين ابن الخطاب؟)[2].

فلم يجبه أحد، فأصبح أكثر تعقّلاً وتأدّباً، فقال: (أفي القوم محمد..؟ أفي القوم محمد..؟ أفي القوم محمد..؟

---

(١) حديث صحيح عند أحمد وقد مر تخريجه من طريق سليمان ابن داود أخبرنا بن أبي الزناد.
(٢) حديث صحيح وهو حديث ابن عباس السابق عند أحمد.

فنهاهم النبي ﷺ أن يجيبوه، ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة..؟ أفي القوم ابن أبي قحافة..؟ أفي القوم ابن أبي قحافة؟

ثم قال: أفي القوم ابن الخطاب..؟ أفي القوم ابن الخطاب..؟ أفي القوم ابن الخطاب..؟

ثم رجع إلى أصحابه فقال: أمّا هؤلاء فقد قتلوا. فما ملك عمر نفسه فقال: كذبت والله يا عدو الله، إن الذين عددت لأحياء كلّهم، وقد بقي لك ما يسوؤك)[1] (هذا رسول الله ﷺ، وهذا أبو بكر، وها أنا ذا عمر. فقال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، الأيام دول، وإن الحرب سجال. فقال عمر: لا سواء، قتلانا في الجنّة، وقتلاكم في النار. قال: إنكم لتزعمون ذلك، لقد خبنا إذاً وخسرنا. ثم قال أبو سفيان: أما إنكم ستجدون في قتلاكم مثلاً[2]، ولم يكن ذلك عن رأي سراتنا، ثم أدركته حمية الجاهلية، فقال: أما إنه قد كان ذلك فلم نكره) (ستجدون في القوم مثلة[3] لم آمر بها ولم تسؤني ثم أخذ يرتجز: أعل هبل.. أعل هبل،

قال النبي ﷺ: ألا تجيبوه؟ قالوا: يا رسول الله ما نقول؟

قال: قولوا: الله أعلى وأجلّ

قال أبو سفيان: إن لنا العزى ولا عزّى لكم.

فقال النبي ﷺ: ألا تجيبوه؟ قالوا: يا رسول الله ما نقول؟

قال: قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم)[4].

عندها خسئت ألفاظ الشرك، وتهاوى تمجيد الخرافة والأصنام أمام هذا التوحيد النقيّ، الذي لا تشوبه شائبة، لكن أحد المشركين أراد التطاول على هذا الإخلاص المتوهّج في صدر محمد وصحبه عليهم الصّلاة والسّلام.. أراد أن يحمل أصنامه إلى رحاب الله، فكيف كانت العاقبة..؟

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٣٠٤١) دون تكرار إنما قال الراوي: ثلاث مرات.
(٢) أي ستجدون تشويهاً بجثث أصحابكم وتقطيعاً.
(٣) أي ستجدون تشويهاً بجثث أصحابكم وتقطيعاً.
(٤) حديث صحيح رواه البخاري (٣٠٤١).

يقول بريدة رضي الله عنه: (إن رجلاً قال يوم أُحد: اللّهمّ إن كان محمد على الحق فاخسف به. فخسف به)[1].

رأى المشركون المعجزة بأعينهم، فالتهمت بقية معنوياتهم كما التهمت الأرض ذلك المتطاول، فولّوا مدبرين إلى مكّة على عجل خشية أن يهبّ المؤمنون مرة أخرى، فيخطفوا بقايا الفرح التي التقطوها من أرض أُحد. وقد يتساءل بعض المشركين وهو في طريق عودته: إذا كان الله قد أعطى محمداً المعجزات كقتل أبي بن خلف، والخسف بهذا الرجل، فلم لم ينصره علينا، وعلى الدنيا نصراً مؤزراً حتى الآن..؟!

وقد غاب عن ذهن هذا المتسائل المسطح أن الإسلام لا ينتشر بالمعجزات، ولا بالخوارق، لأنها تأتي مع الأنبياء وتغادر معهم، أمّا الإسلام فقد جاء للبشر، وبجهدهم -بعد الله- ينتشر وينداح وينتصر، وبانحطاطهم وتخلّفهم وسطحية فهمهم يتحوّل الإسلام إلى ضحية.. إلى خزانةٍ ضخمةٍ مليئة بالتهم.. يلقي فيها الناس عيوبهم.

ها هم أفضل الناس.. أصحاب محمد ﷺ، عندما عصوه -مجتهدين- انقلبت المعركة على رؤوسهم، ورؤوس أصحابهم الملتزمين بأوامره، ولم تسعفهم المعجزات ولا الدعوات لـ(إن الله تعالى يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه)[2].

أمّا رسول الله ﷺ، فقد هبّ لإنقاذ ما يمكن إنقاذه بعد إدبار المشركين، فبدأ بالدعاء لجبر ما انكسر من الداخل.. دعاء الواثق، لا دعاء ذلك الغارق بين طبقات الأرض، وذلك: (لما كان يوم أُحد وانكفأ المشركون، قال رسول الله ﷺ: استووا حتى أثني على ربّي، فصاروا خلفه صفوفاً.

فقال: اللّهمّ لك الحمد كلّه، اللّهمّ لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لما أضللت، ولا مضلّ لمن هديت، ولا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت، ولا مقرّب لما باعدت، ولا مبعد لما قرّبت، اللّهمّ أبسط علينا من بركاتك، ورحمتك،

---

(١) سنده حسن رواه البزار (زوائد - ٣٢٩/٢) حدثنا عبدة بن عبد الله أنبأنا زيد بن الحباب، أنبأنا الحسين ابن واقد عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال الهيثمي رحمه الله: رجاله رجال الصحيح.. وهو كما قال إلا أن زيداً من رجال مسلم فقط وحديثه حسن إذا لم يخالف - التقريب (٢٧٣/١) وشيخ البزار من رجال البخاري فقط وهو الصغار - ثقة: التقريب (٥٣٠/١) والحسين بن واقد ثقة من رجال مسلم (السابق - ١٨٠/١) وعبد الله تابعي ثقة من رجال الشيخين.

(٢) حديث صحيح انظر صحيح الجامع الصغير.

وفضلك، ورزقك، اللّهمّ إنّي أسـألك النعيـم المقيم الذي لا يحول ولا يزول، «اللّهمّ إني أسـألك النعيم المقيم يوم القيامة»، اللّهمّ إني أسـألك النعيم يـوم الغلبة، والأمن يوم الخوف، اللّهمّ إني عائذ بك من شـرِّ ما أعطيتنا، وشـرِّ ما منعت منّا، اللّهمّ حبِّب إلينا الإيمان وزيّنه في قلوبنا، وكرّه إلينا الكفر والفسـوق والعصيان واجعلنا من الراشدين، اللّهمّ توفّنا مسـلمين، وأحينا مسـلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين، اللّهمّ قاتل الكفرة الذين يكذّبون رسلك، اللّهمّ اجعل عليهم رجزك وعذابك، اللّهمّ قاتل «كفرة أهل الكتاب» إله الحق)[1].

هـدأت الأنفس مع الله، واطمأنت الأرواح بهـذا الدعاء، فالأمر لله من قبل ومن بعد، ولا رادّ لقضائه.. لله خرجوا، وله قاتلوا، والحمد لله على كل حال.

تهادى ﷺ وأصحابه خلف ذلك الرجل الأعزل، الذي مشـى أمامهم ليدلّهم على مقتل حمزة.. مشـى الرجل (حتى وقف على حمزة، فـرآه قد بقر بطنه، وقد مُثّل به، فقال: يا رسـول الله، مثّل به والله. فكره رسـول الله ﷺ أن ينظر إليه)[2] (وقد جدع ومُثّل به، فقال: لولا أن تجد صفية في نفسـها تركته حتى تأكله العافية، فيحشـر من بطونها)[3] أي من بطون الوحوش.

وصفية هذه التي خاف عليها ﷺ هي عمّته.. صفية بنت عبد المطلب، وهي شـقيقة حمـزة، وأم الزبيـر بن العوام، وهـي المقصودة بقوله ﷺ: (لولا جزع النسـاء لتركته حتى يحشر من حواصل الطير وبطون السباع)[4](ثم دعا بنمرة، فكانت إذا مدت على رأسه بدت رجلاه، وإذا مدت على رجليه بدا رأسـه، فقال رسـول الله ﷺ: مدوها على رأسه واجعلوا علـى رجليه الحرمل)[5] وهو نبات صحراوي يسـتعمل في الطب.. اسـتعمله ﷺ لتكفين الراقد الذي كان قبل سـاعات يزرع الرعب في قلـوب المجرمين قبل، وينثر الاطمئنان

---

(١) سـنده قوي رواه البزار زوائد ٢-١٣٠ والحاكم ١-٦٨٦ والبخاري في الأدب ٦٩٩ وغيرهم من طريق عبد الواحـد بـن أيمن المكي. حدثني عبيـد بن رفاعة بن رافع عن أبيه. عبيد تابعـي ثقة ولد على عهده عليه السلام وثقه العجلي، وعبد الواحد تابعي صغير من رجال مسلم قال في التقريب: لا بأس به، وقد روي عنه هذا الحديث ثقتان هما خلاد بن يحيى وهو من كبار شيوخ البخاري ومروان بن معاوية وهو ثقة حافظ.

(٢) سنده جيد رواه ابن أبي شيبة (٣٧٢/٧) لكن يشهد لأوله ما بعده.

(٣) سـنده حسـن رواه الحاكم ١-٥١٩ وأبو داود (٣١٣٦) وغيرهم من طرق عن أسـامة بـن زيد الليثي عن الزهري عن أنس. أسامة حسن الحديث من رجال مسلم التقريب ٩٨.

(٤) سنده ضعيف لكنه حسن بما قبله.. رواه ابن أبي شيبة ٧-٣٧٢ والبيهقي سنن ٤-١٢ وغيرهم طريق يزيد ابن أبي زياد عن مقسم عن ابن عباس. ويزيد ضعيف.

(٥) سنده حسن وهو حديث أسامة بن زيد عن الزهري عن أنس.السابق وحسنه الألباني.

على صدور المؤمنين.. هذا الراقد الذي قال عنه ﷺ: (سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب)[1] ثم توجه ﷺ إلى راقد آخر.. راقد وقف عند قبره طويلاً، وتأمّله طويلاً.. مسافر جمع المجد من أطرافه.. جمع العلم والفروسية.. على يديه تعلمت المدينة كتاب الله، وأصغت إليه طرياً من فمه الطاهر.. إنه شاب ترك مال أمه وأبيه.. ترك الجاه والثراء، لا لأنه حرام، ولكنه كان مرهوناً بالشرك، فرفض الشرك ورفض كل شيء يقدمه الشرك وأهله ثمناً للتخلي عن الحق.. التحق بالنبي ﷺ وتعلّم منه، وتعلم القرآن وكتبه، ثم أرسله ﷺ وحيداً إلى المدينة شمساً يشع ويشرق في دورها وقلوب أهلها، ويفوح عبيره في أبياتها، وها هي قصة حياته وشقائه ومعاناته تمرّ في مخيلة النبي ﷺ وأصحابه.. ها هو مصعب راقد بسلام، والحزن من حوله أثقل من جبل أُحد.. ها هو أحد الذين كانوا يعانون الأمرّين مثل مصعب.. خباب بن الأرت رضي الله عنه يقول عن رفيق دربه مصعب: (هاجرنا مع رسول الله ﷺ نبتغي وجه الله، فوجب أجرنا على الله، فمنا من مضى لم يأكل من أجره شيئاً، منهم: مصعب بن عمير قتل يوم أحد، فلم يوجد له شيء يكفن فيه إلاّ نمرة، كانوا إذا وضعوها على رأسه خرجت رجلاه، وإذا وضعوها على رجليه خرج رأسه، قال رسول الله ﷺ: اجعلوها مما يلي رأسه، واجعلوا على رجليه من الإذخر)[2] وهو نبات طيّب الرائحة، لكن مصعباً أطيب منه.

ويقول أبو ذر رضي الله عنه: (لما فرغ رسول الله ﷺ يوم أُحُد مرّ على مصعب مقتولاً على طريقه فقرأ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾)[3] ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾[4].

هذه الآية التي نزلت قبل قليل، فتلاها ﷺ وهو يمر بجسد مصعب الطاهر، وكان

---

(١) انظر صحيح الجامع للشيخ ناصر.

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (١٢٧٦) وابن أبي شيبة (٣٦٧/٧) واللفظ له.

(٣) إسناده حسن رواه الحاكم (٢٠٠/٣) حدثني محمد بن صالح بن هانئ، حدثنا يحيى بن محمد بن يحيى الشهيد، حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب الحجبي، حدثنا حاتم بن إسماعيل عن عبد الأعلى بن عبد الله بن أبي فروة، عن قطن بن وهب، عن عبيد بن عمير عن أبي ذر.. وعبيد: وعمير ولد على عهد النبي، وذكر البخاري أنه رأى النبي عليه السلام وقد أجمع على توثيقه، التهذيب ٧-٧١ وجامع التحصيل ٢٨٥ وتلميذه صدوق أظن الحافظ قد أخطأ بجعله من السادسة، والأولى أن يكون من الخامسة أو الرابعة لأن ابن عمر توفي قبل عبيد.. وعبد الأعلى ثقة فقيه، التقريب ٣٣١ وحاتم حسن الحديث قال الحافظ: صحيح الكتاب صدوق يهم وهو من رجال الشيخين، والحجبي ثقة من رجال البخاري ويحيى هو الذهلي الثقة الحافظ، وتلميذه ثقة حافظ قال ابن الجوزي: كان له فهم وحفظ وكان من الثقات لا يأكل إلا من كسب يده. وقال عنه ابن يعقوب: صحبت محمد بن صالح ما رأيته أتى شيئاً لا يرضاه الله ولا سمعت منه شيئاً يسأل عنه (المنتظم - ٣٧٠/٦) وقد رواه البيهقي ٣-٢٨٤ من طريق الحاكم ٣-٢٤ بسند صحيح.

(٤) أكملت الآية للفائدة.

فـــي نزولها تكريم لهؤلاء الرجال الذين صدقوا مع الله في عهودهم، فمنهم من قضى نحبه، ووفى بعهده كمصعب وحمزة، وهناك من قضى نحبه وهو لا يزال حياً مثل طلحة ابن عبيد الله، الذي شلت يده، وارتقى ﷺ على ظهره ثم قال له: أوجب طلحة وأنجز عملاً أوجب له الجنّة.

وهنـــاك من ليس بين الأحياء ولا يتبين بين الأموات.. إنه أنس بن النضر عم أنس ابن مالك الذي يقول: (نرى هذه الآيات نزلت في أنس بن النضر: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾)[1].

لكن أين ابن النضر..؟

لا أحـــد يدري. كما أن المشـــركين لـــم يأخذوا معهم أســـرى، وإلاّ لقلنا إنه معهم. ســـنترك بعض الصحابة ليبحثوا عن أنس، بينما نتعقب هذه المرأة لنرى ما تفعل على أرض أُحُد.. إنها فاطمة بنت عمرو بن حرام أخت عبد الله بن عمرو بن حرام، وزوجة عمرو بـــن الجموح، وعمّة جابر بن عبد الله، وهي تحمـــل حزناً كالجبال، فقد فقدت أخاهـــا وزوجها، فأذهلها الوجد عمّا يجري حولهـــا، فاتّجهت إلى زوجها فحملته على بعير، واتجهت إلى أخيها فحملته أيضاً، وعادلتها على ذلك البعير، ثم أمسكت بخطام البعيـــر والهموم ومضت ثقيلة نحو المدينة.. مهمومة، لكنها متماســـكة بالإيمان بقضاء الله وقدره.

لقد مضـــى عبد الله، ومضى عمرو، وربما استشـــهد أبناؤها الأربعة أو بعضهم، فأي حزن تحمله هذه المرأة المسكينة..؟ وماذا ستقول لجابر وأخواته..؟

تابعت هذه المسكينة سيرها وحزنها وصبرها نحو المدينة، بينما كان جابر لا يزال مرابطاً مع النظارين على مشـــارف المدينة، فإذا به يشـــاهدها ويشاهد فجيعتها على ظهر البعير. فيقول رضي الله عنه: (فبينا أنا في النظارين، إذ جاءت عمتي بأبي وخالي عادلتهما على ناضح، فدخلت بهما المدينة لتدفنهما في مقابرنا، إذ لحق رجل ينادي: ألا إن النبـــي ﷺ يأمركم أن ترجعـــوا بالقتلى فتدفنوها في مصارعها حيث قتلت، فرجعنا

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٤٧٨٣).

بهما)[1] إلى أُحد حيث كان ﷺ يشرف على تكفين الشهداء استعداداً لدفنهم.

عاد من حَمَل قتيله بقتيله من المدينة، وأعيد الشهداء إلى ساح الوغى، ووصل جابر وعمتّه، وربما بعض أخواته المسكينات، وترجّل الفارسان عن البعير، فانهمرت دموع جابر على وجه والده الحنون، وتعالى نشيجه وحرقته عليه، فرآه الصحابة، فنهوه عن ذلك فلم يبال حزنه بقولهم، ولم تتوقف دموعه لرجاءاتهم.

كان ذلك يحدث والنبي ﷺ شاخص إلى هذا الكرب.. كان عليه السلام متألماً ومبشراً بشيء أفرح جابر الحزين وخفف من وجعه.

يقول رضي الله عنه: (لما قتل أبي يوم أُحُد، جعلت أكشف عن وجهه وأبكي، وجعل أصحاب رسول الله ﷺ ينهوني وهو لا ينهاني، وجعلت عمتي فاطمة تبكيه، فقال النبي ﷺ: تبكيه، أو لا تبكيه، مازالت الملائكة تظلّله بأجنحتها حتى رفعتموه)[2].

هذه هي البشرى الأولى، أما الثانية فهي في طريقها من السماء إلى هذا الراقد بسلام.. حيث كانت البشائر كالمطر على أجساد وأرواح الشهداء. ها هو النبي ﷺ يشاهد إحداها.. تحلّق فوق جثمان حنظلة بن أبي عامر، الذي انسلّ من فراش حبيبته ليسلّ سيفه وروحه دون رسول الله ﷺ، حتى فقدهما على أرض أُحد.. إنه منظر مهيب.. الملائكة تقوم بتغسيله، فيتساءل النبي ﷺ عن سرّ هذه الكرامة.؟ سمع الزبير ذلك التساؤل فقال: (سمعت رسول الله ﷺ يقول عند قتل حنظلة بن أبي عامر، بعد أن التقى هو وأبو سفيان بن الحارث «فلما استعلى حنظلة رآه شداد بن شعوب، فعلاه بالسيف حتى قتله، وقد كاد يقتل أبا سفيان».

فقال رسول الله ﷺ: إن صاحبكم تغسله الملائكة، «فاسألوا صاحبته». فسألوا

---

(١) سنده صحيح رواه أحمد ٣-٣٩٧ ورواه غيره مختصراً من طرق عن: الأسود بن قيس عن نبيح العنزي عن جابر. الأسود تابعي ثقة من رجال الشيخين، وشيخه ثقة وقد أخطأ الحافظ رحمه الله في التقريب بقوله: (مقبول) فهو ثقة وإن لم يعرفه ابن المديني رحمه الله فقد عرفة أبو زرعة والعجلي فقالا: ثقة. وصحح حديثه ابن خزيمة، والترمذي، وابن حبان، والحاكم الجرح والتعديل ٨-٥٠٨ والتهذيب ١٠-٤١٧.

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (١٢٤٤).

صاحبتــه فقالت: إنه خرج لما ســمع الهائعة وهو جنب، فقال رســول الله ﷺ: لذلك غسلته الملائكة)[1]، ومنذ ذلك اليوم صاروا يسمونه «غسيل الملائكة».

عُرف الشهداء كلّهم إلاّ واحداً.. الجميع يبحث عنه، والجميع يتحدّث عن بسالته، فأين هو..؟ أين أنس بن النضر..؟ أين عمّك يا أنس بن مالك..؟ إنه ليس بين الأحياء، ولم يتعرف إليه أحد بين الشــهداء، وتأتي إجابة أنــس ممزوجة بالحزن والإعجاب.. بالوفاء والبطولة النادرة.

لــم يتعرف أحد علــى جثته حتى قدمت أختــه (الربيع بنت النضــر) كالوله من المدينة.. قدمت لهفة عليه.. طاف بها الحزن بين أجســاد الشهداء العطرة، وبين قتلى المشــركين، فلم ترَ وجه أخيها أنس، وبينما هي تطوف توقفت طويلا أمام جســد أثار انتباهها، ثم جلســت وأخذت إحدى يديه تقلّبها ثم بكــت.. هذه أنامل أخيها وحبيبها ورفيق طفولتها أنس.

يتحدث أنس بن مالك عن عمّه فيقول: (قاتلهم حتى قتل، فوجد في جسده بضع وثمانــون من بين ضربــةٍ، وطعنة، ورمية، فقالت أخته عمتــي الربيع بنت النضر: فما عرفــتُ أخي إلاّ ببنانــه، ونزلت هذه الآيــة: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾، فكانــوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه)[2].

وهكذا مضى أنس بن النضر بعد أن برّ بيمينه، وتلقّى الســيوف والرماح والسهام بكل جســده، حتى تزيّن كله بها.. كان جســد أنس لوحة رائعــة.. أرضاً ثانية للمعركة حتى أن وجهه لم يعرف من الجروح والشقوق، وتشويه المشركين له، فنزلت هذه الآيات العظيمة فيه وفي رفاقه، فقرأها ﷺ وبشّرهم وبشّر من بعدهم.

---

(١) سنده صحيح رواه ابن إسحاق ومن طريقه السراج (الإصابة – ١٣-٢٩٩) ومن طريقهما الحاكم ٣-٢٠٤: حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن جده.. وهذا السند مر معنا كثيراً وهو صحيح.. فيحيى ووالده تابعيان ثقتان.

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٢٨٠٥) ومسلم (١٩٠٣) واللفظ له.

النبي يبشّر الشهداء

فرسول الله ﷺ (مر على مصعب بن عمير وهو مقتول على طريقه، فوقف عليه، ودعا له، ثم قرأ هذه الآية: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾.

ثم قال رسول الله ﷺ: أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة، فأتوهم وزوروهم، والذي نفسي بيده لا يسلّم عليهم أحدٌ إلى يوم القيامة إلاّ ردوا عليه)[1].

وقف ﷺ أمام هؤلاء الأبرار وبشّرهم.. هؤلاء العظماء الذين سافروا إلى جناتهم التي لا تعرف مللاً ولا شقاءً ولا رتابة.. جناتهم التي علت كل طموح وفاقت كل تصوّر، سافروا إلى مدنهم ومنتجعاتهم وأنهارهم وقصورهم ومراكبهم الفارهة، أمّا رسول الله ﷺ فمشغول بهم.. حزين عليهم، وسيبدأ بعد قليل بدفنهم، لكنه يشاهد امرأة مذهولة تركض كالفجيعة نحو الشهداء.. يحملها الحزن والوجد، وتحمل في يديها شيئاً. أشفق ﷺ عليها، وخاف على عقلها ومشاعرها، فأمر الصحابة أن يحولوا بينها وبين فضائع التشويه التي فعلها الوثنيون الهمج بأجساد الشهداء.

يقول الزبير رضي الله عنه: (إنه لما كان يوم أحد أقبلت امرأة تسعى، حتى كادت أن تشرف على القتلى، فكره النبي ﷺ أن تراهم، فقال: المرأة.. المرأة.

قال الزبير: فتوسمت أنها صفية، فخرجت أسعى إليها، فأدركتها قبل أن تنتهي إلى القتلى، فلدمت في صدري -وكانت امرأة جلدة- قالت: إليك عني لا أرض لك. فقلت: إن رسول الله ﷺ عزم عليك.

فوقفت، وأخرجت ثوبين معها فقالت: هذان ثوبان جئت بهما لأخي حمزة، فقد بلغني مقتله، فكفنوه فيهما.

---

(١) سنده صحيح رواه الحاكم (٢٤/٣) ومن طريقه البيهقي (٢٨٤/٣): أخبرنا أبو الحسين: عبيد الله بن محمد القطيعي ببغداد من أصل كتابه، حدثنا أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل، حدثنا عبد العزيز بن عبد الله الأويسي، حدثنا سليمان بن بلال، عن عبد الأعلى بن عبد الله بن أبي فروة، عن قطن بن وهب، عن عبيد بن عمير، عن أبي هريرة. عبيد مجمع على ثقته، ولد على عهد النبي، وتلميذه صدوق التقريب ٤٥٦ وعبد الأعلى: ثقة فقيه (السابق - ٤٦٤) وسليمان التيمي ثقة من رجال الشيخين (السابق ٣٣١ والأويسي ثقة أيضاً السابق ٣٥٧ وتلميذه ثقة حافظ التهذيب ٩-٦٢.

قال الزبيـــر: فجئنا بالثوبين لنكفن فيهما حمزة، فإذا إلى جنبه رجل من الأنصار قتيـــل، فعـــل به كما فعل بحمـــزة، فوجدنا غضاضة وخنى أن يكفـــن حمزة في ثوبين، والأنصاري لا كفن لـه، فقلنا: لحمزة ثوب، وللأنصاري ثوب، فقدرناهما، فكان أحدهما أكبر من الآخر، فأقرعنا بينهما، فكفنّا كل واحد منهما في الثوب الذي طار لـه)[1].

وحصل حمزة على كفن بعد أن كان ثوبه هو كفنه، واقتسم المهاجرون والأنصار الأشجان والأكفـــان، وفي مكان غير بعيد يتلألأ أمير الاقتســـام والكرام (ســـعد بن الربيع) مضرجاً بدمائـــه.. ينظر إليه عبـــد الرحمن بن عوف مودعاً أخاً لم تلده أمـــه، ومحتفظاً بجميله.. محتفظـــاً بجماله الأنصاري في ذلك اليوم الذي قـــدم فيه عبد الرحمن بن عوف من مكة معدماً لا يملك شيئاً.. في ذلك اليوم أشرق سعد بن الربيع بدراً في ليل ابن عوف وأحزانه، حين قدم المهاجرون من مكة و(لما قدموا المدينة آخى رســـول الله ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف وســـعد بن الربيع فقال لعبد الرحمن: إني أكثر الأنصار مالاً، فأقســـم مالي نصفين، ولي امرأتان، فانظر أعجبهما إليك، فسمّها لي أطلقها فإذا انقضت عدّتها فتزوّجها)[2].

ها هو الكريم راقد رقدة الموت وقد ترك خلفه زوجة واحدة وابنتين[3] يبكينه بحرقة، وها هو حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أمام جسد والده الطاهر يبكي، وفي مكان آخر يذرف هشام بن عامر بن أمية الأنصاري.. يذرف دموعاً على والده الحبيب.

كانت الساحة تغصّ بالأحزان والدموع.. كثر البكاء، (وكثر القتلى، وقلّت الثياب)[4].

يقول هشام بن عامر رضي الله عنه: (شكي إلى رسول الله ﷺ شدّة الجراح يوم أُحد، فقال ﷺ: احفروا، وأوسعوا، وأحسنوا، وادفنوا في القبر الاثنين والثلاثة، وقدموا

---

(١) سنده قوي رواه أحمد ١-١٦٥ والبزار ٣-١٩٥ والحارث زوائد ٢-٧٠١ وأبو يعلى ٢-٤٥ من طريق سليمان بن داود الهاشمي أخبرني ابن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن عروة أخبرني أبي (الزبير) علته هو عبد الرحمن بن أبي الزناد وهو صدوق لكنه تغير عند قدومه بغداد وكون ســـليمان بغدادي يعكر صفوه (لكن الناقد علي بن المديني يقول: ما روى ســـليمان الهاشـــمي عنه فهي حســـان، نظرت فيها فإذا هي مقاربة وجعل علي يستحســـنها علل الترمذي ٢-٦٠٦. كما أنه لم ينفرد فقد تابعه في ســـنن ٣-٤٠١ يحيى بن زكريا بن أبي زائدة وهو ثقة متقن والراوي عنه ثقة إلا إذا روى عن علي بن مسهر، وهذه ليست منها وقد وثقه أبو حاتم وابن قانع ومدحه ابن معين التهذيب ١-١٦٩.

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٣٧٨٠).

(٣) سيمر معنا الدليل لاحقاً.

(٤) سنده حسن وقد مر معنا وهو حديث أنس السابق وقد حسنه الشيخ ناصر حفظه الله.

أكثرهم قرآنـاً، فقدموا أبي بين يدي رجلين)[1] (وكان يكفـن الرجل أو يكفن الرجلين والثلاثة في الثوب الواحد، وكان رسـول الله ﷺ يسأل عن أكثرهم قرآناً، فيقدمه إلى القبلة، فدفنهم رسول الله ﷺ)[2] دون أن يغسلهم.. دفنهم بجراحهم الطاهرة، ودمائهم العبقة (أمر بدفنهم في دمائهم ولم يغسلوا)[3].

وقال ﷺ: (أنا شهيد على هؤلاء، لفّوهم في دمائهم فإنه ليس جريح يجرح في الله إلاّ جاء وجرحه يوم القيامة يدمي، لونه لون الدم، وريحه ريح المسك)[4].

هذا ما جرى حول الدفن والكفن، لكن ماذا عن:

الصلاة على الشهداء

هل صلّى النبي ﷺ على شهداء أُحد، أم أنه لم يفعل كما حدث لشهداء بدر رضي الله عنهم جميعاً؟

يحدّثنـا عن ذلك أحد الذين لـم يحضروا المعركة، لكنه حضـر إلى أرضها بعد انتهائهـا، وشـاهد عمليات التكفين والدفن.. يحدثنا ذلك الشـاب الذي كانت دموعه تتسـاقط كالمطر على وجه أبيه - الشـهيد، إنه جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما، وهو يقول: (لما قتل أبي يوم أُحد، جعلت أكشف عن وجهه وأبكي، وجعل أصحاب رسول الله ﷺ ينهوني وهو لا ينهاني، وجعلت عمّتي تبكيه، فقال النبي ﷺ: تبكيه أو لا تبكيه مازالـت الملائكة تظلّله بأجنحتها حتى رفعتموه)[5]، ثم (إن رسـول الله ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أُحُد في ثوب واحد، ثم يقول: أيّهم أكثر أخذاً للقرآن؟ فإذا أشير إلى أحد قدّمه في اللحد، وقال ﷺ: أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة.

---

(١) سـنده صحيح رواه أحمد ٤-١٩ وأصحاب السـنن وغيرهم من طرق عن حميد بن هلال عن هشـام بن عامر. حميد تابعي ثقة سمع الحديث من التابعي الثقة: سعد بن هشام ومن أبي الدهماء وهو ثقة أيضاً واللفظ لابن شيبة ٣-٣٧٢ وانظر الجنائز للإمام الألباني ١٤٢.

(٢) هو الحديث قبل السابق.

(٣) حديث صحيح رواه البخاري (١٣٤٣).

(٤) حديث حسن مر معنا من حديث الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك وله شواهد قوية.

(٥) حديث صحيح رواه البخاري (١٢٤٤).

وأمر بدفنهم بدمائهم ولم يصلّ عليهم ولم يغسلهم)[1].

هكذا أمر الله سبحانه وهكذا فعل ﷺ وامتثل، فسينهض هؤلاء الفرسان يوماً من مراقدهم مزينين بالشهادة والطعنات، ولون الدم ورائحة العطر تفوح من جراحهم، وتعطر المكان من حولهم. كان الجو مشحوناً بالحزن، فليس هناك أقسى، ولا أكثر دموعاً وانتحاباً من لحظات الدفن، ومغادرة القبر بعد وضع الأحباب تحت التراب.. لحظات كان فيها جابر حزناً ودموعاً، لكن الله أنزل ما يخفف حزنه.

التفت ﷺ إلى جابر المجروح وقال له: (يا جابر، ما لي أراك منكسراً؟ قال: يا رسول الله، استشهد أبي وترك عيالاً ديناً.

قال ﷺ: أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك؟ قال: بلى يا رسول الله. قال ﷺ: [ما كلم الله أحداً قطّ إلاّ من رواء حجاب، وكلّم أباك كفاحاً]، «يا جابر أما علمت أن الله أحيا أباك» فقال: يا عبدي، تمنّ علي أعطك. قال: يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية.

فقال الرب سبحانه: إنه سبق مني أنهم إليها لا يرجعون [قال: يا رب، فأبلغ من ورائي، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (١٣٤٧). ملاحظة:
ورد أنه ﷺ صلى على حمزة وحده، وورد أنه صلى على حمزة وعلى بقية الشهداء كمجموعات معه رضي الله عنهم، والذي جعلني لا أذكر هذا في المتن هو إشكال في أسانيد ومتون تلك الروايات وهذا الإشكال يتلخص في النقاط التالية:

١- حديث ابن إسحاق عن ابن الزبير وهو جيد الإسناد وابن إسحاق قوي الحديث إذا لم يخالف من هو أوثق منه وقد خالف هنا وابن الزبير كان عمره عامان.

٢- حديث أنس بن مالك اضطرب فيه أسامة الليثي -وهو صدوق يهم- فمرة قال: لم يصل عليهم، ومرة قال: لم يصل على أحد من الشهداء غير حمزة.. والصواب القول الأول ثم وجدت ما يؤيد قولي هذا: وهو نقد للإمام البخاري رحمه الله حيث قال إن القول الثاني غير محفوظ غلط فيه أسامة فالحمد لله.

٣- حديث ابن عباس جيد السند لكنه مخالف لحديث أنس ولحديث جابر أيضاً لأنه ذكر أنه صلى على جميع الشهداء.

٤- إن مما يرجح حديث جابر هو حضوره ومشاهدته للأحداث في الوقت الذي كان فيه ابن الزبير يبلغ الثانية من عمره.. بينما كان ابن عباس في الثانية أيضا ومع والده في مكة. ولتفصيل أكثر راجع صحيح موسوعة السيرة.

رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾])[1] ﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2].

فرح جابر بهذه البشـــرى، فرح بحفاوة الرب الكريم بأبيه، فخفّفت البشرى كثيراً من أحزانه، لكن:

ما سر حفاوة الله بوالد جابر؟

ما ســـرّ هذا الشـــيخ المحلّق في النعيم.. إنه لم يقاتل كما قاتل حمزة، ولم تمزقه الطعنات كما مزقت أنس بن النضر.. لقد شرب الخمر، ثم انصرف إلى المعركة، فكان أول من سقط من الشهداء، ومع ذلك يلقى كل هذا الفيض الغامر من النعيم..؟!

ليـــس هكذا يُنْظَر إلى والد جابر رضي الله عنه.. دعونا نتأمل عالم هذا الشـــيخ من كل زواياه.. دعونا نجعل أنفسنا مكانه.

إن هذا الشـــيخ الكبيـــر لم يحارب عن اثنين كما فعل ســـعد في بدر، ولم يحارب بسيفين كحمزة، لكنه كان يحارب في معركتين شرستين.. أحدهما على أرض أُحُد، أمّا الثانية فكانت ســـاحتها داخل أعماقه وبين حناياه، وهي معركة أشـــد ضراوة وقسوة.. إنها معركة مع الذات.. مع الدنيا، ومع عواطف الأبوة الجياشة التي تتغلغل في أعماقها تســـع بنات مســـكينات، والدنيا.. كل الدنيا تعلم أن الشيخ أكثر حناناً وعطفاً على بنيه منه وهو شاب، والدنيا.. كل الدنيا تعرف للبنات رحمة لا تعادل في قلوب الآباء، فكيف إذا كنّ تســـع بنات يترصّـــد لهن اليتم والفقر؟! إن عبد الله بـــن عمرو بن حرام ينتزع

---

(١) حســـنه الإمام الألباني في ابن ماجه ١٩٠ ويبدو لي أن الحديث ليس حســـناً كله، لذلك وضعت المعقوفين حول الألفاظ التي لم أجد لها شـــاهداً، فقد تفرد بها حســـب علمي موسى بن إبراهيم ابن كثير وهو وإن روى عنـــه جمع من الثقات إلا أنه لـــم يوثق، بل جرحه ابن حبان في ثقاته وقال: كان ممن يخطئ ٧-٤٤٩ ولعـــل هذه الزيادة من أوهامه، قال الحافظ: صدوق يخطئ وســـكت عنه ابـــن أبي حاتم ٨-١٣٣. ولبقية الحديث شـــاهد حسن عند أحمد ٣-٣٦٠ عن جابر والزيادة له. حدثني ابن المديني عن سفيان بن عيينة عـــن محمـــد بن علي بن ربيعة عن ابن عقيل عن جابر، ومحمد بن علي ثقة (ذيل الكاشـــف - ٢٥٤) وابن عقيل حسن الحديث.

(٢) سورة آل عمران: الآيات ١٦٩ - ١٧١.

نفســـه من بين بناته.. من بين أبوّته وأحزانه، ليتّجه بها نحو الجنّة.. نحو الله.. فحب الله متشعب في كل خلاياه ومشاعره، وهو بحاجة إلى الله أكثر من حاجة بناته إليه.. هكذا نتأمل هذا الشيخ، وبهذه الطريقة نتحسّس بعض سرّه وسر حفاوة الله به.

والد جابر ورفاقه الآن أحياء عند ربّهم يرزقون، فقد قال خالقهم سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾[1].

ســـأل الصحابة رســـول الله ﷺ عن معنى هذه الآية.. عن تلك الحياة الفسيحة التي ينعم بها الشـــهداء، وعن ذلك الكرم الإلهي المدهش، فقال عبد الله بن مســـعود رضي الله عنه ســـألنا عن ذلك فقال ﷺ: (أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلّقة بالعرش، تســـرح من الجنّة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطّلاعة فقال: هل تشتهون شيئاً؟ فقالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنّة حيث شئنا؟

ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا: يا رب، نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهـــم حاجة تركـــوا)[2]، وقال أحد الصحابة رضي الله عنهم: (قال رســـول الله ﷺ: لما أصيـــب إخوانكم بأُحُد، جعل الله أرواحهم في أجواف طيـــر خضر، ترد أنهار الجنّة، وتـــأكل مـــن ثمارها، وتأوي إلـــى قناديل من ذهب في ظل العـــرش. فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم وحســـن منقلبهم، قالوا: ياليت إخواننا يعلمون ما صنع الله لنا، لئلا يزهدوا في الجهاد، ولا ينكلوا عن الحرب.

فقـــال الله عزّ وجلّ: أنا أبلّغهم عنكم، فأنـــزل الله عزّ وجلّ هؤلاء الآيات: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ ومـــا بعدهـــا)[3]..

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٦٩.

(٢) حديث صحيح رواه مسلم ٣-١٥٠٢ باب: بيان أرواح الشهداء في الجنة.

(٣) سنده صحيح بما قبله: رواه ابن إسحاق ومن طريقه أحمد ١-٢٦٥ و٢٦٦ وغيره: حدثنا إسماعيل بن أبي أمية عن أبي الزبير عن ابن عباس لولا عنعنة أبي الزبير، وقد دلس اسم شيخه الذي صرح به في رواية ابن إســـحاق عند أبي داود ٢٥٢٠ والحاكم ٢-٨٨ وهو الإمام المجاهد ســـعيد ابن جبير. وللحديث شاهد سنده حسن عند ابن جرير ٣-٥١٣.

زخّات من النعيم أمطرتها تلك الكلمات على قلوب أصحاب النبي ﷺ، فحفرت فيها الأخاديد والشقوق.. حسرة على ما فاتهم في هذا اليوم من لذّة الحديث إلى أحبّ حبيب.. لذّة الاستماع إلى الله.

إن الإنسان ليعرف من حال العاشق حالةً من الذهول عن كل ما يحيط به عند لقاء المحبوب، فليت شعري من يصف مشاعر من يتحدث إلى أحب حبيب وأعظم محبوب..؟

تمنى فرسان أُحد الأحياء وهم يغادرون تلك المقابر الطيبة.. تمنوا لو كانوا فيها بين أولئك المسافرين في النعيم، وتمنى ﷺ لو كان مجندلاً على أرض أُحد لينعم بلقاء اليوم..

تحدث ﷺ بذلك وباح به لأصحابه، فازداد شوقهم وحنينهم إلى الله وإلى الجنّة بكلمات هذا الحبيب الذي يبوح بمشاعره ويقول: (أما والله لوددت أني غودرت مع أصحابي بحضن الجبل، يعني سفح الجبل)[1]، ويقول جابر رضي الله عنه أنه قصد: ليتني (قتلت معهم)[2].

تلك هي مشاعر النبي ﷺ ومشاعر من حوله من المؤمنين، لكن ماذا عن مشاعر جيش المشركين الذي يرجع الآن إلى مكة..؟ إنهم الآن في أرض تسمّى: (الروحاء) وأبو سفيان يتحدّث إليهم.

أبو سفيان وجيشه نادمون

ليس على قتالهم للمؤمنين، بل على أشياء فاتتهم في المعركة.. أشياء عجزوا عن تحقيقها فـ (لما انصرف أبو سفيان والمشركون عن أُحد وبلغوا الروحاء، قالوا: لا محمداً قتلتم، ولا الكواعب أردفتم، شرّ ما صنعتم)[3]. ماذا تعني هذه الكلمات وهي

---

(١) سنده صحيح رواه ابن إسحاق ومن طريقه: أحمد ٣-٣٧٥ وغيره حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله عن أبيه. عاصم ثقة وعبد الرحمن تابعي ثقة.

(٢) هو الحديث السابق.

(٣) سنده صحيح رواه الطبراني ١١-٢٤٧: حدثنا علي بن عبد العزيز، حدثنا محمد بن منصور الجواز، حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس وهذا السند صحيح، عكرمة وعمرو وسفيان أئمة ثقات ومحمد بن منصور ثقة من رجال التقريب ٥٠٨ وشيخ الطبراني ثقة مأمون انظر: البلغة (٢٢٨).